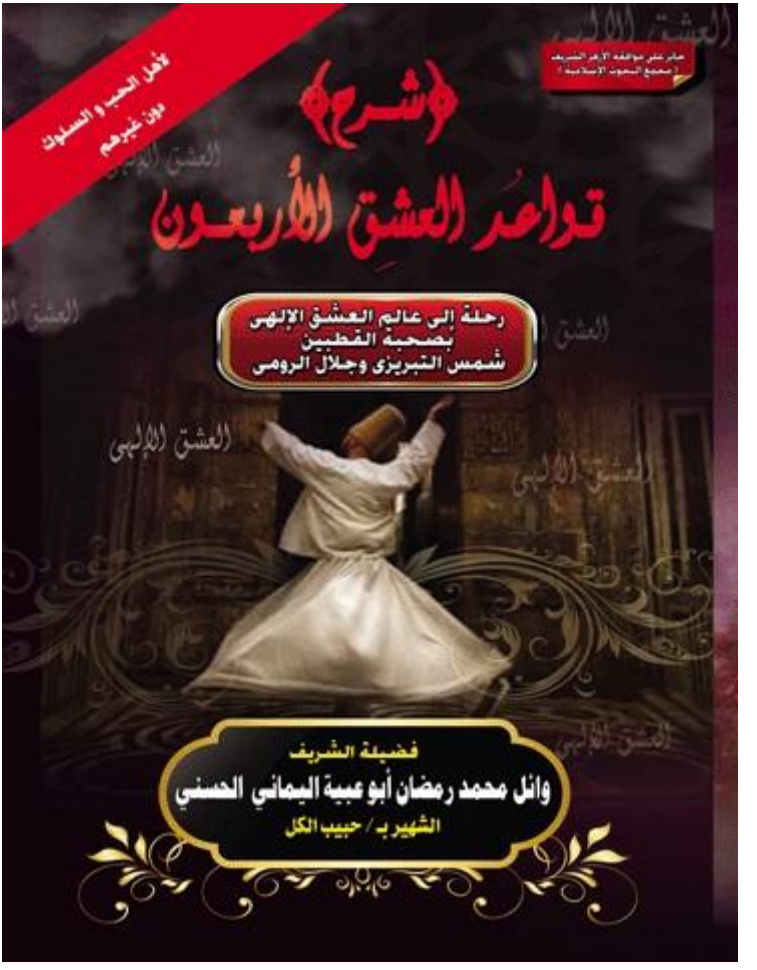
صادر على موافقة الأزهر الشريف
(جميع الحقوق الإسلامية)
أفضل الحب و العشق
دون غيرهم
شرح
قواعد العشق الأربعون
رحلة إلى عالم العشق الإلهى
بصحبة القطبين
شمس التبريزى وجلال الرومى
العشق الإلهى
فضيلة الشريف
وائل محمد رمضان أبو عبية اليماني الحسني
الشهير بـ / حبيب الكل

شرح قواعد العشق الأربعون

اسم الكتاب /((شرح)) قواعد العشرة الأربعون.

اسم المؤلف/ الشريف :وائل محمد أبو عبيه اليماني الحسني(**حبيب الكل**).

عدد الصفحات/ **270**صفحة. عدد النسخ / **1000** نسخة.

دار الطباعة/ دار الحكيم للطباعة رقم الإيداع/ **2017/3649**

الترقيم الدولي/**978-977-90-4627-3**

تم بحمد الله

في الثاني عشر من ربيع الأول عام **1438**هجرياً.

الثلاثاء **11/ 12/ 2016** ميلادياً.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الإهداء

إلى مولانا جلال الدين الرومي

وإلى مولانا : شمس الدين التبريزي

وإلى : مولانا العاشق فضيلة الشيخ : نجدي

وإلى رجال العشق قديماً وحديثاً

حبيب الكل

((إن حُبّ الله ﷻ هو الغاية، وكل ما سواه إنما هو وسيلة إليه)).

المؤلف

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيد المحبين وإمام المقربين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المؤمنين الصادقين، وعلى جميع المحبين لك والعاشقين.

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلاّ وحبك مقرون بأنفاسي

ولا خلوت إلى قوم أحدثهم إلاّ وأنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتك محزوناً ولا فرحاً إلاّ وأنت بقلبي بين وسواسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش إلاّ رأيت خيالاً منك في الكاسِ

ولو قدرت على الإتيان جئتكمُ سعياً على الوجه أو مشياً على الراس

أما بعد:

فهذا كتاب في الحب والعشق الإلهي، يدور حول قطبين من أقطاب العشق والحقيقة، هما: شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي.

شرحت فيه (قواعد العشق الأربعين) التي أملاها شمس التبريزي على جلال الرومي. شرحاً مختصراً بسيطاً على قدر ما استطعت.

ويرجع سبب تأليفي لهذا الكتاب- بعد فضل الله- افتقار الساحة الدينية لمادة الحُب والعشق الإلهي، على الرغم من ازدحامها بمواضيع الحب والعشق البشري، سواء أكانت روايات أو دواوين أو مؤلفات!.

إن موضوع الحُب والعشق الإلهي هو أساس العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهو لُبّ التقوى التي يتقرب بها العابد للمعبود عز وجل، ولست أدري ما سر إهماله هكذا!، ولما لا يتكلم عنه سوى الصوفية!.

إن حُبّ الله كان البداية لظهور الوجود وكل موجود وسيظل هكذا إلى أبد الآبدين، فحب الله لا منتهى له. ومن هنا يظهر أهمية الحب والعشق، ومن يتأمل في الوجود كله يجد الكون عاشقاً لبعضه البعض، فالعرش عاشقاً للجنة، والسماء عاشقة للأرض، والأفلاك عاشقة للدوران، والطيور عاشقة للأشجار، والأرض عاشقة للماء، وهكذا كل شيء لا يخلو من عشق شيء، أما الإنسان ذلك المخلوق الذي خلقه الله لكي يحبه ويحبه، فمنهم من ترك تلك المحبة وهبط بعشقه من عشق الواجد إلى عشق الموجود، ومن حب الله إلى حب عباده!.

ورغم كل هذا العشق بين الموجودات فليس كل الناس هكذا!!!.

فلله عبادٌ عاشوا وماتوا ولم يعرفوا من الحياة سوى الحب البشري!

ولله عبادٌ ما رضوا بغير الله حبيباً لهم، وما رضي الله بغيرهم أحبّة.

لقد أخذتنا الدنيا وأخذناها، وهجرتنا فما نسيناها، وخلقنا الله فتركناه وذكرنا فنسيناه، وأحبنا فهجرناه، فمن نحن حقيقة؟!. وهل إلى البشرية حقيقة ننتسب؟!. وكيف نكون مؤمنين بوجوده ولا نتقرب إليه محبّة؟!

وكيف يحبنا الله العظيم القادر الغني عن العالمين ولا نحبّه نحن؟!.

يقول جلال الرومي:(كل أشياء العالم، من مال ونساء ولباس، مطلوبة لغيرها وليست مطلوبة لذاتها، ألا ترى أنه حتى إذا كان لديك مئة ألف درهم وكنت جائعاً، ولم يكن في مقدورك أن تحصل على كسرة خبز، لن تكون قادراً على الأكل وتغذية نفسك بتلك الدراهم؟ والمرأة: من أجل الأطفال وقضاء الشهوة، واللباس: لدفع أذية البرد، وهكذا الأشياء كلها. أما مع الحق ﷻ: فهو المطلوب لذاته، يراد لا لأي شيء آخر، ولأنه وراء كل شيء، وخير من كل شيء، وأشرف من كل شيء، وألطف من كل شيء، فكيف يراد من أجل ما هو أقل منه؟). إننا راجعون إلى الله لا محالة وسيسألنا جميعاً عن العبادة والعمر...إلخ، وسنجيبه كُلٌّ بما عمل وقدَّم.

ولكن ماذا إن سألنا الحبيب الأعظم كم قضينا من العمر في حُبّه؟.

ولماذا سألناه سبحانه وتعالى من كل شيء ولم نسأله من حُبّه؟!.

إن الإنسان إذا اشتهى شيئاً وأحبه وناله؛ فسرعان ما يزول ذلك الحب وتتلاشى تلك اللهفة؛ومن ثم يزهده، وهكذا كل شيء في الوجود.

إلاّ حُبّ الله عز وجل، فكلما استغرق الإنسان فيه زاد غرقه، وكلما نال منه شيئاً ازداد طمعاً فيه أكثر وأكثر، لا يمكن لإنسان ذاق حب الله ثم يزهده، بل إن حب الله يجعل الإنسان زاهداً في كل ما سواه.

إن الإنسان إذا أحب الله أحبَّه على قدر وعائه البشري، أما إذا أحب الله عبده فإنما يُحبّه على قدره هو سبحانه وتعالى!.

فما حجم ذلك الحب الإلهي؟!. وما أبعاده؟!. سبحانه من إله عظيم

لقد كتبت هذا الكتاب ولا أعلم هل سيُقرأ أم لا؟!.

فلا شك أن الكثيرين مشغولون عن الله تبارك وتعالى، وفي الحقيقة لست أُبالي إن قُرأ أم لا!. فإنما كنت أتحدث فيه عن الحب إليه هو سبحانه، وإلى أحبته الكرام في كل مكان وزمان، جعلني الله ومن أحب منهم، بفضله ورحمته وبسر أسرار محبته التي ملأت الأكوان.

وائل محمد أبو عبية اليماني الحسني

سيرة مولانا جلال الدين الرومي

جلال الدين قبل لقائه بشمس التبريزي.

جلال الدين بعد لقائه بشمس التبريزي.

جلال الدين بعد غياب شمس التبريزي

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

إن الغرام هو الحياة فمت به صبًّا فحقك أن تموت وتعذرا

ابن الفارض

في عام 546هجرياً توفى بمدينة بلخ العالم الجليل حسين الخطيبي جد جلال الدين، تاركاً وراءه طفلاً صغيراً في الثالثة من العمر، هو محمد بهاء الدين والد جلال الدين الرومي, وما كاد بهاء الدين يبلغ الحلم حتى صار مدرساً نجيباً تأتيه الطلبة من كل أنحاء المدينة، إلا أنه ترك التدريس بعد فترة من أجل التصوف (تزكية النفس)، وظل في سلوكه تحت رعاية شيخه نجم الدين كُبْرَى حتى بلغ معه مرتبة الشيخ المربي.

وبعدها تزوج بهاء الدين من (مؤمنة خاتون) وذلك في عام 595هـ، بعدما تجاوز سن الخمسين،[1] وبعد عام من الزواج ولد له علاء الدين، وبعده بعامين ولد محمد جلال الدين، الذي شهر بلقب جلال الدين، ثم شُهر بعدها بلقب (مولانا)،و(مولوي)،ويحدد تاريخه مولده في السادس من ربيع الأول عام604 هـ، الموافق1207 م. ولد في بلخ وكانت بلخ تعد في ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المترامي الأطراف، ولذا يلقبه البعض بجلال الدين البلخي.

[1] وقد ورد أن النبي ﷺ تزوج بعد السيدة خديجة وهو في سن الثالثة والخمسين من مولده المبارك

وقد أورد بعض الباحثين أن لبهاء ابنة بكر اسمها (فاطمة خاتون) وعلى ذلك فإن جلال الدين هو الابن الثالث.[2]

وكان بهاء الدين شيخاً مميزاً وكان له من المريدين اثنان مميزان أخلصهما وأشدهما خدمة وطاعة هو: (شرف الدين لالا السمرقندي) والثاني هو: (سيد برهان الدين الترمذي)، وقد أوكل إليهما بهاء الدين مسؤولية تعليم جلال الدين وتأديبه؛ لما رآه من علامات النجابة والذكاء والطاعة فيه، خصوصاً وقد حبب الله إلى جلال الدين ملازمة مدرسة والده وسماع دروسه والإنصات إليه واستيعاب ما يقوله والده.

فمنذ الصغر وجلال الدين في عين العناية الربانية والبشرية، ينهل من الله المدد والتوفيق، وينهل من والده العلم الشرعي والروحاني وينهل من (سيد برهان) و(شرف الدين) التربية والأدب، وعلى هذا تكونت شخصية جلال الدين الرومي.[3]

ولهذا نجد في سيرته حب تربية الحيوانات والطيور، والعطف عليها، وتلك وراثة محمدية، فقد ورد عن حضرة النبي مثل ذلك وأكثر،

---

[2] انظر : مناقب العارفين ج2. شمس الدين أحمد الأفلاكي، طبع أنقرة، سنة 1959م، 1961م.

[3] الرومي : نسبة إلى((آسيا الصغرى)) التي كانت تعرف في عصره ببلاد الروم.

بل إن رسول اللهﷺ- وهو طفل- كان إذا غاب ذهبوا يتلمسون مواضع هبوط الطير والحيوان فيجدون النبي حولهم يطعمهم طعامه.

وقد تميز جلال الدين عن الأطفال بالأدب والحكمة والسكون، وكأنه رجل كبير يلعب مع صبية، حتى إنه في أحد الأيام كانوا كالعادة يلعبون فوق أحد السطوح. فقال واحد من الأولاد: هيا نقفز من هذا السطح إلى السطح المجاور. فابتسم جلال الدين ابتسامة غامضة وقال: لا! القفز فوق السطوح تقدر عليه أضعف القطط، لو كان لديك الشجاعة والجرأة فرافقني؛ لنحلق بين السموات السبع، ألا تريد أن تطلع على خفايا العالم!!.

ولا شك أن ذلك من أثر تلك البيئة الروحانية التي نشأ فيها جلال، فقد كان بهاء الدين من أشهر متصوفة (بلخ).

ولكن بسبب الحروب الواقعة في ذلك العصر قرر بهاء الدين الهجرة إلى الأناضول، وذلك في عام 618هجرياً تقريباً، وقد اصطحب معه زوجته مؤمنة خاتون، وولده جلال الدين البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وعلاء الدين الذي يبلغ عشرين عاماً، وصاحبيه (شرف الدين)، و(سيد برهان)، وكذلك بعض المريدين الذين بلغ عددهم ثلاثمائة.

يقول جلال الدين: (وأنا في صحبة والدي وعدد من الفقهاء الكبار تركنا بلخ ثلاثمائة جمل كانت تحمل الكتب والأموال والأمتعة، كان والدي يتقدم القافلة راكباً جملاً وكان إلى جانبه أربعون عالماً من علماء بلخ).

وفي مدينة نيسابور التقى بهاء الدين بصديقه الشاعر الصوفي الشهير فريد الدين العطار[4]، وكان بينهما مُحادثات في التصوف والشعر، وكان جلال الدين الذي كان صبياً مرافقاً لهما ومشاركاً لحديثهما، وقد أثار حديثه إعجاب فريد الدين العطار، وتوقع له مستقبلاً باهراً في عالم التصوف، وأهداه كتابه: منطق الطير، وقال عن جلال مبشراً والده: (إن هذا الفتى سيفتح باباً في قلب العشق، ويضرم النار في قلوب جميع العشاق).

وليس العطار وحده هو من رأى في جلال ذلك، فقد قيل:إن جلال الدين ووالده التقيا بالقطب محيى الدين ابن عربي، فحينما انصرفا تبع جلال الدين والده، فقال ابن عربي: (سبحان الله، محيط يمشي وراء بحيرة)!.

---

[4] - فريد الدين العطار النيسابوري: ولد في 523هـ ، وهو: أحد أقطاب الطريقة الصوفية الكبروية (نسبة إلى مؤسسها: نجم الدين كبرى). وكان العطار شاعراً كبيراً ، وقد لقب بالعطار؛ لأنه كان يعمل في الطبابة. ومن أشهر مؤلفاته: منطق الطير، تذكرة الأولياء. توفي627هـ تقريباً.

وكما أثر جلال الدين في العطار، كذلك أثّر العطار في نفس جلال الدين أثراً جليّاً، سواء في أشعاره أو أسلوبه القصصي.

وبعد المرور بنيسابور ولقاء العطار، توجه بهاء الدين إلى بغداد، وحينما بلغوا أسوار المدينة؛ استوقف الحرس القافلة قائلين: من أين جئتم؟ وإلى أين تذهبون؟

فأخرج بهاء الدين رأسه من خلف ستارة المحمل مُجيباً: من الله جئنا وإليه نذهب، جئنا من اللامكان وسنتوجه إلى اللامكان!.

ولما علم الصوفي الشهير(شهاب الدين السهروردي) المُقرب إلى الخليفة، هرع للقاء بهاء الدين، وتوسل إليه أن يحل ضيفاً على الخليفة في قصره، لكن بهاء الدين أعلن أن العلماء لا يُقيمون إلا في المدرسة. فأنزلوه في إحدي المدارس بحسب رغبته. [5]

ومن بغداد توجه بهاء الدين إلى مكة، حيث كان موعد الحج قد حضر. وحالما فرغوا من أداء فريضة الحج، خرجوا من مكة وساورا إلى المدينة، حيث زاروا رسول الله ﷺ ، ثم اتجه بهاء الدين إلى الشام،

[5] **انظر : مناقب العارفين. لأحمد الأفلاكي.**

وفي دمشق زاروا الجامع الأُموي ثم اتجهوا إلى حلب، ومنها إلى الأناضول، ومنها إلى (ملاطيه)، وبعدها دخلوا أذربيجان، وما إن علم الأمير(فخر الدين بهرام) وعقيلته السلطانة (عصمت خاتون) بقدومهم خرجا إلى بلدة (آق شهر) ليكونا في استقبالهم، مما يدل على مكانة بهاء الدين عند كل من مَرَّ عليه دون شك.

ومن (آق شهر) إلى (قره مان) ولما بلغ سمع والي لارندة الأمير السلجوقي: (موسي)، نبأ وصول بهاء الدين، خرج مع أفراد حاشيته لاستقباله عند حدود المدينة، ثم أمر ببناء مدرسة خاصة لبهاء الدين، لعلمهم برغبته في سكن المدرسة كما مر، وفيها كان المستقر.

ولما استقر بهاء الدين ومن معه في (قره مان)، أخبر بهاء الدين مريده المخلص شرف الدين برغبته في تزويج جلال الدين،[6] من ابنته الجميلة (جوهر خاتون) والتي لازمت جلال منذ طفولته وإلى تلك اللحظة. وبالفعل تم الزواج المبارك عام 623هجرياً.

[6] كان جلال الدين الرومي رجلاً نحيف البدن، طويل القامة، يميل وجهه إلى الصفرة من كثرة الصيام، ذو لحية، كستنائي العين.

إلا أن فرحة جلال الدين لم تدم طويلاً حيث توفيت أمه(مؤمنة خاتون) وانتقلت إلى رحمة الله، ولم يمر وقت طويل على حزن جلال الدين إلا وتوفي أخوه (علاء الدين) فجأة، ودُفن بجانب والدته التي سبقته.

وفي خضم أحزان جلال الدين وَلَدَت زوجته (جوهر خاتون) ابنهما الأول (سلطان ولد)، ومن بعده أخيه (علاء جلبي) الذي أسماه جلال الدين على اسم أخيه.

وفي عام 627هجرياً،1228ميلادياً، عزم بهاء الدين وأهله على الرحيل إلى قونيا. وبالفعل تم الانتقال إلى قونيا حيث استقبلهم السلطان (علاء الدين) على مشارف قونية، حيث أنزلهم حسب رغبتهم في إحدى مدارس قونية، وفي تلك المدرسة كان (بهاء الدين) يُمارس دروسه ومواعظه وخطبه على أحبابه ومريديه، والتي كانت تدور في فلك الحب الإلهي الذي يراه –هو وجميع مشايخ التصوف–، الحل الوحيد لصلاح البشرية.

بينما كان يرى العلماء والفقهاء أن الحل الوحيد هو التقوى، وليس الحب؛ مما أدى إلى ظهور الخلاف بينهم وبين بهاء الدين، وهو أمر ما زال يحدث إلى يومنا هذا.

إلاّ أن بهاء الدين استطاع بما أُوتيه من علم وحجة وحب جارف وأسلوب بياني رائع أن يحشد الناس في قونية إلى صَفِّه، وليس عامة الناس فقط، بل إن الأمير (بدر الدين جوهر طاش) كان من أشد المعجبين ببهاء الدين، حتى إنه أمر ببناء مدرسة له يلقي فيها دروسه ويربي فيها مريديه، ويسكن فيها، وبالفعل انتقل بهاء الدين وأهله إليها وكانت مقره الأخير. وفي الثامن عشر من ربيع الآخر عام 628هـ. الثاني عشر من يونيو 1231م توفي بهاء الدين عن خمس وثمانين عاماً، وصلى عليه جلال الدين.

وبعد وفاة بهاء الدين استكمل جلال الدين مشوار والده في المدرسة، والتف حوله جميع مريدي والده، وهو ما يُسمى عند الصوفية بالخليفة، وبالفعل كان جلال الدين خير خلف لخير سلف.

وكان برهان الدين الترمذي قد أصابته جذبة شديدة؛ غاب على أثرها (اثني عشر عاماً)، أمضاها بعيداً عن الناس، وبعدها استعاد عقله ورجع إلى أهله في بلده ترمذ، ولقب فيها بفخر المجذوبين، والمحقق.

وبينما هو جالسٌ مع الناس عَلِمَ كشفاً بوفاة شيخه بهاء الدين فأخذ يصيح (ويلاه... شيخي وصاحبي بهاء الدين ولدٌ قد رحل عن هذا العالم الفاني).

ولما علم أهلُ ترمز بأن بهاء الدين قد توفى بالفعل في ذلك اليوم– كما قال برهان– ازدادوا إيماناً بكراماته، وبأنه محقق ومن رجال الكشف.

بعدها رآه بهاء الدين في الرؤيا، وسأله أن يتوجه إلى قونيا للعناية بجلال الدين، وفي قونية سكن برهان الدين في مدرسة جلال الدين ليقوم بتوجيهه كما أراد منه بهاء الدين وكان ذلك تقريباً عام629هـ.

والعجيب أن أولى نصائح برهان الدين لجلال الرومي كانت: (ارحل إلى الشام لدراسة علوم الظاهر– الشريعة).

ومما أثر فى جلال الدين في تلك الفترة وفاة زوجته الحبيبة (جوهر خاتون)، وذلك في عام 630 تقريباً.

وظل جلال الدين في الشام (حلب) يتلقى العلم لمدة أربعة أعوام وبعدها رحل إلى دمشق، حيث التقى بابن عربي قبيل وفاته بقليل وناقشه في مسائل الدين والفلسفة.

بعد ذلك، أي: بعد حصوله على الإجازات العلمية في الشام عاد الرومي إلى الأناضول مرة أُخرى، حيث استقبله شيخه برهان الدين، والذي أخذ على عاتقه أن يُعِين جلال الدين على ارتقاء المقامات الروحية، ويوصله إلى مقام الولاية الإلهية.

ومن ثم دخل جلال الدين تحت مراد برهان الدين، فدخل الخلوة حيث فتح له فيها ما شاء الله أن يفتح له، وظل هكذا حتى بلغ مبلغاً كبيراً من الرقي والسمو الروحي.

فأخرجه برهان الدين من الخلوة وقال له: (بعد اليوم لن تكون في حاجة إليَّ؛ لأن القادم الجديد سيملأ لك دنياك الجديدة)[7].

وبالفعل في عام 638 هجرياً غادر برهان الدين الترمذي قونية متجهاً إلى بلدة قيصرى، بعد ثماني سنوات أو أكثر قضاها مع جلال الدين.

وفي آخر أيامه طلب من الله تعالى أن يقبض روحه، ومن ثم قال لخادمه: (لك أن تغادر الدار، اذهب واقفل الدار عليَّ، ويمكنك أن تقول للناس ما يلي: الترمذي غادر دار الفناء في هجرة أبدية).

---

[7] إشارة منه لجلال على ظهور شمس الدين التبريزي.

وبالفعل استجاب الله لدعائه، وكانت آخر مكاشفات برهان الدين هى المكاشفة بوفاته، وكان ذلك عام 639 هجرياً.

ولما بلغ جلال وفاتُه سافر إلى قيصرى وتوجه رأساً إلى ضريح شيخه وجلس عنده ساعات يبكي، ومن الوفاة تبدأ لجلال الدين حياة أُخرى.

****

الحياة الجديدة ولقاء جلال الدين بشمس التبريزي:

كان جلال الدين الرومي معروفاً بالفضل، والتقوى، والسماحة، والعلم، والعرفان،....إلخ. بين الناس عامة وبين مريديه خاصة.

إلاّ أنه رغم ذلك الكمال كان ينقصه شيء ما، وهذا الشيء لا يشعر به سواه، ولا يشغل بال أحد غيره، وهذا الشيء عند رجل واحد فقط، اسمه شمس التبريزي، وهو شخص مغمور غير مشهور؛ فيذهب جلال الدين إليه، بل يكاد شمس التبريزي لا يُعرف كعارف يملك ما لا يملكه غيره من أهل السلوك والتصوف في زمانه.

التعريف بـ: شمس التبريزي

شمس التبريزي الذي أشرق على أرض جلال الدين فجعلها سماء

شمس التبريزي:

هو: (محمد شمس الدين ابن ملك داد علي)، (التركماني الأصل)، (التبريزي المنشأ- عاصمة أذربيجان-)، (الملقب بـبَرَنْدا، أي: الطائر)، ولقب بـ (قلندر، أي: درويش متجول)، ولقب بـ (قطب المعشوقين)، ولد عام: (581هجريّاً).

وصف شمس:

كان رجلاً نحيف الجسد، ليس بالطويل ولا بالقصير، له عينان سوداوان غائرتان، شديد سواد الشعر طويلاً مجدولاً ضفائر، ذو لحية جميلة، يبلس السَّواد من رأسه إلى قدميه، يحمل عدة مسابح في رقبته.[8]

لم تكن طفولة شمس التبريزي طفولة عادية، ولكنها كانت استثنائية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنىً، فقد بدت عليه أحوالٌ عجيبة، لولا أن النبوة قد انقطعت لقلنا:إنها تشبه الإرهاصات، فقد بلغت الحد الذي جعل والده في قلق وحيرة وتعجب؛ مما يظهر على ولده شمس.

يقول شمس التبريزي: رويتُ له[9] حكاية الدجاجة التي احتضنت عدداً من البيض، فلما فقست، لم تلحظ الأم أي فرق بين الفراخ. وفي يوم من أيام الربيع اصطحبت صغارها إلى الجدول لتعلمهم السباحة، لكن أحد الفراخ، سارع دون إذن الدجاجة ورمى بنفسه في الماء ،فشرعت الدجاجة المذعورة بالاستغاثة واقتربت من الماء فإذا بالفرخ الصغير يسبح بمهارة غير معروفة في الدجاج، ذلك أنه لم يكن

[8] انظر صورته المستوحاة من أوصافه في آخر الكتاب، ملحق الصور.
[9] يقصد والده .

من صنف الدجاج أصلاً.. كان من البط! (وذلك هو حالي أنا بينكم يا أبي: أنا أبدو مثلكم ظاهراً، لكنني في الحقيقة مُباين ومختلف عنكم).

المعتاد أن يروي الأب للابن، ولكن هنا شمس هو الذي يروي لأبيه!. ولكي تضح المسألة جيداً لابد من مزيد ضوء على حال شمس.

يقول شمس التبريزي: **(عندما كنت طفلا رأيت الله، رأيت الملائكة، رأيت أسرار العالَمين العلوى والسفلي، ظننت أن جميع الرجال رأوا ما رأيته، لكن سرعان ما أدركتُ أنهم لم يروا)**.

تكفي هذه الرواية لمعرفة من هو شمس؟! ولِما كان والده في غاية القلق والحيرة والدهشة، ولا شك أن ثبات شمس في طفولته أمام ما كان يشاهده؛ يدل على شخصية قُدِّر لها شأنٌ عظيم.

ما إن بلغ شمس سن الشباب، حتى فارق والده وهام في البلاد وحده بلا رفيق سوى مولاه، حيث كان أُنسهُ بالله يقابله وحشةً شديدة من الناس، وهذا أمر لا يعرفه إلاّ أصحاب الخلوات والمنقطعين عن الخلق في المفازات، وكان قد خدم الشيخ (أبي بكر سلَّه باف)، حتى

قال عنه: (لقد وجدت منه كل الولايات، لكن كان في داخلي شيء لم يكن شيخي يراه، ولم يكن أحد قط قد رآه).

ولذا فقد صاحب العديد من المشايخ، إلاَّ أن غاية شمس كانت أكبر من أن يحققها له أيّاً ممن قابلهم.

وقد حصل العلم والفقه وعلم الكلام ...إلخ، في تبريز على يد كمال الجندي ثم أكمل العرفان على يد محيى الدين ابن عربي وغيره من مشايخ العرفان... إلاّ أنه جعل كل ذلك وراء ظهره، لعلمه بقصور العقل والعلم عن تحصيل بغيته، وهي القرب من الله ومعرفته يقيناً، ولن يتحقق له ذلك إلاّ بتحصيله على يد الشيخ المربي الكامل الواصل إلى الحق والحقيقة عن طريق العشق.

نعم كان شمس التبريزي يبحث عمن يتحمل صحبته، عمن يأخذ عنه كل ما حصله في عمره من معارفَ وأسرارٍ وطريقةٍ، ومشرب، كان يبحث عنه في كل مكان، كما يبحث الرجل عن شريكة حياته أو أكثر، كان يبحث عن الكنز الذي به يصير غنياً بمولاه عن الكل، فجاب البلاد شرقاً وغرباً من أدناها منزلة عند الناس كالحانات، إلى أعلاها منزلة عندهم كدواوين الأمراء وغيرها، وكأنه ذو القرنين زمانه!!!.

وكان شمس التبريزي يستقر في البلد باحثاً فيه، حتى يسمع عن شيخ آخر في مكان آخر، فينتقل من وقته، ويسافر إليه، هكذا كان حاله دائماً، وكان كلما أتعبه الترحال عاد إلى الشام (حلب) وأقام فيها، ويكاد لا يزوره أحد، وقد التمس الناس له العذر في الانقطاع عنهم لكونه كثير الخلوات والصوم، فلم يكن اجتماعياً قط، يكاد يعرفه القليل، ولولا أنه كان يعمل في حرف كثيرة ليحصل قوت يومه ما عرفه أحد، فقد عمل في الحدادة والخوص وتحفيظ القرآن وغيرها، وبها عرف بين الناس، رغم عدم اختلاطه بهم في المناسبات والأعياد وغيرها.

حتى إنه توجه يوماً إلى دكان في حلب ليشتري شيئاً؛ فعرفه البائع، وأراد أن يبيعه أفضل ما عنده، لكنه حين استدار نحوه ليُعطيه السلعة لم يجده، لقد تركه شمس ورحل لأنه عرفه. حتى إنه بلغ الستين عاماً وهو على ذلك الحال!!، لا موطن له ولا أهل ولا أصحاب ولا جيران، فهو الغريب السائح في البلاد. وفي بغداد، زار أوحد الدين الكرماني، وكان من الصالحين وسأله عما يفعل في المدينة، فقال له أوحد الدين: (أراقب القمر في ماء الطشت)[10].

[10] **لقد ضرب لشمس مثلاً معناه: أنه ينظر إلى انعكاس الجمال في الكون.**

فقال له شمس التبريزي:(إن لم يكن في جوف رقبتك ورم، فلا تخفض رأسك بل ارفعه إلى الأعلى كي ترى قمر السماء، أما الحسن: فالتمسه داخل نفسك!)، عندها أمسك أوحد الدين ذراع شمس وقال له: (أرجوك أن تسمح لي بمرافقتك).

قال شمس: (إنك لن تطيق صحبتنا).

ولكن أوحد الدين ظل يلح على شمس، فقال له شمس: (أقبل بشرط واحد، أن نتوسط أنت وأنا سوق بغداد ونحتسي الخمرة أمام الملأ!).

فقال أوحد الدين مُستنكراً: (أعوذ بالله، حاشا أن أفعل هذا).

فقال له شمس: (أنا الذي سأشرب، وعليك أنت أن تجالسني وتتحدث معي علي هذا الحال. ما رأيك؟).

فقال أوحد الدين: (هذا أيضاً ما لا أفعله أبداً).

فقال له شمس: (ما دمت كذلك، فابتعد عن طريق الرجال: أنت لا تصلح لي رفيقاً، واعلم أنني لا ألتمس مريداً ولا شيخاً، وما أبحث عنه هو العارف المرشد، الهادي، لقد هجرت الأوطان وتغربت في البلدان وأنا أطلبه، لكني لا أجد في يدي غير الهواء!).

فقال أوحد الدين: (من هو الإنسان الكامل في رأيك؟).

فقال شمس: (هو الذي إذا سمع انتقادات الناس لم يُبد انزعاجاً، ولم يتميز غضباً!).

فقال أوحد الدين: (ما أسهل أن نجد مثل هذا الإنسان).

فقال شمس: (هل تظن ذلك؟ فاسمع إذن الحكاية الآتية:

في مجلس من المجالس راح أحدهم يُطيل حديثه عن الأسماك، فارتاب أحدُ الجلوس بمدى معرفته وقال له متسائلاً: (أتعرف السمك حقاً؟)

قال الرجل: (كيف لا أعرفه وقد قضيت كل عمري في أسفار البحر!).

قال السائل: (فاشرح لنا أمره وفصِّل لنا وصفه).

قال الرجل: (ما أسهل هذا... السمك حيوان شبيه بالجمل وله قرنان!).
قال السائل: (صه أيها الأحمق، أنت لا تفرق حتى بين الثور والجمل، فلا عجب أن تجهل صفة السمك).

وهكذا هُم الناس في العادة، إنهم بلا تمييز وبلا عقل، وبناء على ذلك كله، قرَّ الرأي مني ألا أطلب إلا الإنسان الكامل. وفكرت بيني وبين نفسي: لابد أن رفيقي موجود في مكان ما على وجه هذه الأرض، فلا

يُعقل أن العالم المحتشد بهذا العدد الهائل من البشر، يخلو من إنسان واحد فقط، وهو الذي أتمني لقاءه).

واعتزم شمس الرحيل، وفي طريقه إلى قونية، مَرَّ شمس ببلدة (آق سراي) ولكنه لم يجد منزلاً، فقرر المبيت في المسجد، وبعد صلاة العشاء توجه المؤذن إلى بوابة المسجد ليُغلقها، فرأى شمس الدين جالساً على الأرض فصاح به: (من أنت؟ وماذا تفعل هنا بعد خروج جميع المصلين؟).

فقال شمس: (أنا رجل غريب أيها الرجل الصالح، ولست أجد مكاناً لقضاء الليلة، فلتسمح لي بالبقاء هنا حتى الصباح).

إلا أن المؤذن شرع يوبخه ويهينه إلى أن فقد شمس صبره فنهض ومضى نحو الباب وهو يتمتم: (الله قادر على أن يكتم هذا الصوت!).

وفي الحال أحس المؤذن بلسانه ينتفخ، ثم بدأ يلتصق ببلعومه، وأخيراً وقع على الأرض وهو يحتضر، فلما رآه إمام المسجد على الأرض ينتفض، قال له: (ماذا يجري هنا؟ ما بك أيها الشيخ؟).

فأشار المؤذن إلى شمس الدين الذي كان يسير مبتعداً، وقال بصعوبة بالغة: (الحق بذلك الشيخ واطلب منه المغفرة).

فهب إمام المسجد وجرى خلف شمس الدين حتى بلغ موضعه، وقال له: (أرجوك يا سيدي أن تعفو عن المؤذن التعس، فهو لم يكن على علم بمقامكم الجليل، اعذره قبل أن يموت).

قال شمس التبريزي: (أما الآن فقد قضي الأمر، والحكم لله وحده من قبل ومن بعد، فلقد استُجيب الدعاء، كل ما أستطيعه هو الدعاء له بأن يموت مؤمناً لا كافراً).

وبالفعل حينما عاد شيخ المسجد إلى المؤذن وجده قد فارق الحياة.

وظل شمس على هذا الحال يبحث عن شيخه المنشود أو مريده الموعود، حتى رأى في منامه عدة ليالي من يقول له: (لو حققنا لك مرامك والتقيت بالشيخ الذي تسأل عنه، فماذا ستقدم مقابل ذلك؟).

فأجاب شمس على القائل: (مقابل ذلك سأقدم رأسي).

فقيل له: (فتوجه إلى بلاد الروم وهناك ستلتقي بمن تريد).

وبالفعل توجه شمس إلى قونية، وكان ذلك عام 642 هجرياً، الموافق شهر أكتوبر 1244 ميلادياً، وما إن وصل إلى المدينة حتى وجد أخبار جلال الدين منتشرة في كل مكان، وذكره بالفضائل على كل لسان، وما هي إلا ساعات قليلة مرت على شمس في المدينة حتى رأى بعد صلاة العصر موكباً كبيراً يحيطه مريدين ومحبين الذين قيل: إنهم بلغو الآلاف، وفي وسطهم شيخ جليلٌ في الأربعينيات من عمره يرتدي عباءة عنبرية مطرزة بالخيوط الذهبية، ويمتطي حصاناً أبيضَ، وكأنه سلطان أو أمير، وما إن اقترب حتى سمع الناس تقول: (مولانا.. مولانا... مولانا.....).

نعم....

إنه (جلال الرومي) الذي ستبدأ معه رحلة الشمس مع القمر.

****

بداية اللقاء...

قام شمس التبريزي من مكانه ودخل الموكب الجلالي حتى بلغ إلى الفرس التي يمتطيها (جلال الدين)، ثم أوقف الفرس الذي كان يركبه،

حتى أخذ الحصان يصهل ويرتفع لأعلى وكأنه رأى شيئاً مهيباً، وحاول جلال الدين تهدأة الحصان، إلا أنه فشل، وما إن لوح شمس للحصان بيده حتى هدأ، فتعجب الجمع، ولم ينته تعجبهم حتى سمعوا ذلك الدرويش يوجه كلامه إلى جلال الدين ويقول: مولانا. فنظر إليه جلالُ الدين، وكلُّ المحيطين له.

فقال شمس الدين سائلاً جلال الدين: (**من هو الأعظم في ظنك: محمد ﷺ أم أبا يزيد البسطامي؟**) [11].

قال جلال الدين: ما هذا السؤال؟! بالطبع محمد هو الأعظم، ماذا يكون البسطامي بجانب خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين؟

فقال شمس الدين:(**إذن ما سبب استغفار الرسول محمد ﷺ سبعين مرة في اليوم**)، **في حين يُجاهر أبا يزيد البسطامي ويقول (سبحاني ما أعظم شاني، وليس في الجبة إلا الله). ما تقول في هذا؟**

[11] - هو: طيفور، أبو يزيد بن عيسي الشهير بأبي يزيد البسطامي، أسلم على يد الإمام علي بن موسي الرضا، من مشاهير التصوف وبلغ أعلى المقامات، إلا أنه كانت له جذبات شديدة حال الفناء تؤدي إلى شطحات، منها قوله: (سبحاني ما أعظم شأني) و(ما في الجبة غير الله)، لكنه كان يتوب منها ويستغفر الله حالما يعود إلى حال الصحو، توفي 874 ميلادياً.

قال جلال الدين: (أقول: إن البسطامي لم يكن ظمؤه كبيراً، لذا فقد ارتوى من ماء قليل، لأن كأسه طفت في أول مقام وصل إليه، بينما الرسول محمد ﷺ كان يجتاز في اليوم الواحد سبعين مقاماً، وفي كل مقام جديد كان يشاهد صغر المقام السابق؛ فكان يستغفر ربه لكونه قد اكتفى في السابق بذلك المقام، فهذا هو السبب).

فقال شمس:(وماذا عنك أنت أيها الخطيب العظيم؟ ماهو حجم كوبك؟)

سكت جلال الدين ولم يجد جواباً، ثم نزل من على حصانه، ثم تعانقا وكأنهما حبيبان التقيا بعد فراق طويل، فلطالما رأى جلال الدين ذلك الدرويش في منامه، ولطالما انتظره في يقظته طويلاً.

ومن هنا بدأ العجب...

اصطحب جلال الدين شمس الدين إلى مقر سكنه، الذي ما إن وطئه شمس حتى قال له جلال الدين (يا شمس تبريز، يا لؤلؤة المعنى، دارى هذه لا تليق بمقامك الرفيع لكن عبدك هذا الماثل أمامك، يُقدم لك كل ما يملك: بيته وأولاده، وبناته وجميع من فيه وما فيه!!).

أي سر اطَّلع عليه جلال الدين حتى يقول لشمس ما قاله؟!.

وأي شيء جعل شمس الرحَّال يبقى مع جلال ولا يرحل كعادته؟!.

لقد كان شمس يبحث عن من هو مثل جلال، وكان جلال ينتظر من هو مثل شمس، ولذا يعبر المولاوية عن هذا اللقاء بقوله تعالى:(مرج البحرين يلتقيان)، بل ويتبركون بالمكان الذي جمع بينهما إلى الآن.

ولقدْ خلوتُ مع الحبيب وبيننا سرٌّ أرَقّ من النسيم إذا سرى

وأباحَ طرفي نظرةً أمَّلتها فغدوتُ معروفاً وكنتُ مُنْكَرا

فدهشتُ بين جماله وجلاله وغدا لسانُ الحال عني مُخبرا

اختلى شمس التبريزي وجلال الدين في غرفة مكتبه، ولم يسمح لأحد بالدخول عليهم سوى اثنين هما:(سلطان ابن جلال الدين)- والذي كان له الفضل الكبير في نقل كثير مما دار بينهما، بل وكثير مما روي عن جلال الدين- وصلاح الدين زركوب.

ودارت خلوتهما في محاورات ومناظرات مستمرة، ظلت حوالي ستة أشهر بنهارها وليلها!!، كان منها أربعون يوما خصصوها لدراسة قواعد العشق الأربعون، وربما أكثر من ذلك بكثير.

حتى إن ذلك جعل زوجة الرومي وأولاده ينظرون إليه من الفوارغ التي في الجدران، وكان أكثر المتلصصين ابنه علاء، حتى إن شمس قال لجلال الدين يوماً مكاشفاً وهو يشير إلى الباب الذي يجلس خلفه علاء: (يخيل إليه أنني لا أراه، لكنني أراه جيداً، فهو يجلس مقرفصاً ويلصق أذنه بالباب، ويراقبني من شقوق الباب). نعم بلغ ابن الرومي هذا الحد، بسبب انقطاع والده عنه وعن الكل طوال هذه المدة، وأشد ما في الأمر أنه معهم في نفس البيت ولا يستطيعون لقائه.

لم يعد جلال الرومي يُلقي الدروس والمواعظ، ولا يُسأل فيجيب، بل ولا يلتقي بأحدٍ قط من الناس، بل ولا محبيه ومريدينه، ولا يخرج للخطب...إلخ.

لقد كان شمس الدين رجلاً بلغ الستين، صدوقاً لا يعرف سوى الصراحة، ولا يعرف المجاملة، وكان ذا مشاعر جياشة لا يخفيها.

وكان جلال الدين شيخاً وقوراً بلغ الأربعين، صدوقاً يخفي انفعالاته، يهتم بالتقاليد المجتمعية، يحرص على مشاعر الناس، كثير المجاملة.

إذاً فقد كان بينهما فروقاً سنية وطبعية كبيرة جداً، ولا شك أن تغيير الطباع شيءٌ يكاد يكون مستحيلاً، إلاّ أن جلال الدين تغيرت طباعه، وانصبغ بصبغة شمس في تلك الفترة الوجيزة، حتى إن شمس صار شاعراً عاشقاً عرف شعره وانتشر كالنار في الهشيم.

لقد تسبب انقطاع جلال الدين عن الكل في إثارة بلابل كثيرة، فهذا أمر لا يحدث كل يوم، بل لا يحدث كل قرن. وانتشر القيل والقال بين الناس، وصلت إلى حد الاتهامات بالسحر والشعوذة للسيطرة على شيخهم الجليل من شمس!!. وحاول جلال الدين إرضاء الناس، فصار يأخذ شمس معه في كل مكان ويعرف الناس به لعلهم يعذرونه في حبه له، وفيما يمدحه به:

في عينيك عسل وفي خدودك نور مع اسمك تشب نار الفتنة

ومن قدحك تفيض البهجة خبزك مملح لذيذ!

حسنك حلو فريد لو سرت شرقاً أو ذهبت غرباً

لو طرت محلقاً في الماء أو نزلت هابطاً في الأراضين

فالحياة لا معنى لها إلا بوجودك

ومنه أيضاً:

ها هي ألسنة لهب العشق تضطرم متصاعـــدة إلـــى الأعـــالي

لكنـــي لا أرى بين كتل النيـران إلا وجـــه شمـــس الديـــن

ومنه أيضاً:

لأنني منـدهشٌ مـن لقائـــك ومثْلُ خيالٍ من خيالاتك

فإن فكري وتصوري من أنفاسك كأنني ألفاظك وعبارتُك

لا شك أن للناس الحق كل الحق في التعجب خصوصاً وأن الشعر كتب في رجل- هذا بالطبع من وجهة نظر المحجوبين- وإلاّ فقد مدح حسان وابن رواحة وغيرهما النبيّ ﷺ بأجمل من ذلك الشعر ألف مرة. ولكنها الغيرة من شمس الذي أخذ شيخهم وحبيبهم منهم.

وقد نجا من فخ تلك الغيرة المضرة، (سلطان ولد) ابن جلال الدين، ولعل ذلك لما منَّ الله به عليه من قرب وفهم وفتح، فنراه يقول: (حين شع نور "شمس الدين" تفتحت أمام مولانا أبواب جميع الأسرار، مثلما يتكشف دُجى الليل عن فجر نهار جديد، من ذلك اليوم صار مولانا يسمع ويرى ما لا يسمعه ولا يراه أي مخلوق غيره، فلقد حوله إلى

عاشق، وفي عيني العاشق يكون الفوق والتحت، والغرب والشرق شيئاً واحداً)

بل نرى شمس التبريزي يشهد لسلطان فيقول: (أعطيت رأسي لمولانا (أي:جلال الدين)،وأعطيت سري لابنه بهاء الدين(أي:سلطان).

ونرى ذلك جلياً أيضاً في مؤلفاته من عبارات الحب والثناء والتكريم والتشريف والتباهي بشمس الدين التبريزي.

إذاً فقد أصاب الابن ما أصاب الوالد من أنوار شمس التبريزي الروحية. ولم تكن صحبة جلال الدين لشمس التبريزي مجرد صحبة محبة فحسب، ولكنها كانت صحبة مريد صادق لشيخ حاذق، حتى إن ابنة الرومي بالتبني كانت تقول: (إن عين مولانا كانت تتبع شمساً كما يتبع عبَّاد الشمس الشمس).

ولم يكن شمس ليصحب جلال صحبة محبة فقط، لقد جاء لمهمة قبل كل شيء، فكما اختبر سابقاً أوحد الدين الكرماني حين طلب منه مشاركته في مجلس شراب علني، اختبر كذلك جلال الدين، فبينما كانا يجلسان في المدرسة، والناس حولهما يترقبان أفعال وأقوال ذلك الغريب

الذي أخذ شيخهم منهم ستة أشهر كاملة، وبينما كان جلال يحاول أن يقنع الناس بجمال شمس وولايته ومكانته، إذا بشمس يطلب من جلال على مرأى منهم ومسمع: أن يشتري له زجاجة خمر!!!.

ذهل الحاضرون وظلوا يتهامسون ويتبادلون فيما بينهم النظرات، منتظرين رد فعلٍ لا يقل عن فعل أوحد الدين الكرماني، ولعل بعضهم ظن أن ذلك الطلب هو نهاية شمس التبريزي، إلاّ أنه لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن، فما إن انتهى شمس من طلبه حتى أحنى جلال الدين رأسه، وخرج ثم عاد وهو يحمل بيده زجاجة خمر قدمها إلى شمس، عند ذلك ضحك شمس وقال لجلال الدين: **(إنما كنت أختبرك، أن تتحمل بصبر المؤمن، وبتفاني الوثني، لقد بلغت الآن مقام الإنسان الكامل)**، ثم سكب شمس التبريزي جميع ما في الزجاجة على الأرض.

وليس هذا الموقف وحده الذي أثار حفيظة الناس تجاه شمس، بل مواقف أخرى كثيرة، منها: إنه ذات يوم اجتمع العلماء في إحدي تكايا قونية كعادتهم في المناسبات الدينية، فمنهم من كان ينقل شيئاً عن الرسول ﷺ ، وبعضهم عن الصحابة، والبعض الآخر عن الأولياء، وهو المعتاد والمتعارف عليه، وكان شمس التبريزي حاضراً ملتزماً

الصمت، حتى نفد صبره، وهبَّ واقفاً قائلاً لهم:(**إلام تمضون أوقاتكم في النقل عن فلان وعلان؟ أليس لديكم جديد تقولونه؟ ومتى سيقول أحدكم: قلبي نقل عن إلهي كذا وكذا، بدلاً من أن تستعيدوا كلاماً مكرراً مسموعاً ومعروفاً**).

هكذا كان شمس يتصرف دون مبالاة لأحد مما تسبب في ازدياد نفور الناس منه، ولم يكن هذا الاختبار هو الاختبار الأخير لجلال مع شمس، ولكنه كان الأول، فالمهمة صعبة جداً وتتطلب من شمس كل ما في شخصية جلال مما لا يتوافق مع شخصية العبد العاشق لمولاه (الإنسان الكامل).

وبتلك الاختبارات تم القضاء على شغف جلال الدين الشديد للمطالعة والدرس، فقد كان جلال يظن أن العلم هو الغاية، فبه يدخل على الناس بكل ما ينتظرون تعلمه، وهذا حق فالعلم يوصل إلى الناس، ولكن هناك علمٌ آخر يوصل إلى رب الناس، وهذا هو المطلوب، وهو متعلق بالقلب والوجدان، وما سواه متعلق بالعقل والفكر، وكلاهما لا يوصلان إلى الله في مذهب العشق، بخلاف العلم

المتعلق بالله، والمسمى بالعلم اللدني، قال تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا).

ولا شك أن قصة جلال الدين مع شمس التبريزي تشبه كما قال ابنه سلطان: تشبه قصة موسى مع الخضر عليهما السلام حيث قال موسى للخضر: (قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)؟. ورد الخضر عليه:(قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا)[12]. إذاً فهي قضية التسليم التام.

يقول سلطان: (إنه على الرغم من أن موسى عليه السلام كان نبياً إلاَّ أنه بحث عن الخضر عليه السلام وطلبه، وكذلك الحال عند جلال الدين حيث كان رجلاً عظيماً في زمنه إلاَّ أنه كان يبحث عن شمس).

وكما اختبر الخضرَ موسى عليه السلام،

اختبر شمسٌ جلالَ الدين.

****

[12] سورة الكهف الآيتان :67و68.

بينما شمس يجلس ذات يوم مع جلال عند ماء جاري يمر من ساحة المدرسة التي يعيش فيها، وبجانبهما مجموعة كبيرة من الكتب، إذا بشمس يُلقي بكتب جلال الدين تباعاً في ذلك الماء.

وجلال الدين- بلا شك كغيره من العلماء- مفتونٌ بكتبه عموماً، وبكتب معينة خصوصاً، ومن تلك الكتب الخاصة جداً عند جلال، كتاب (منطق الطير) لفريد الدين العطار، وكان جلال الدين مفتوناً به جداً، فلما رآه مما ألقاه شمس في الماء ظهر على وجهه الحزن، خصوصاً وقد أهداه له العطار في صغره. فلما رأى شمس جلال الدين على هذه الحالة مد يده في الماء واستخرج له الكتاب، وسلمه إليه، إلاّ أن جلال ومن كان حاضراً أخذتهم الدهشة إذ شاهدوا الغبار ما زال عالقاً بالكتاب وكأنه لم يبتل بالماء، فلما رأى شمس ذهولهم قال: **(اعلموا أن مذهب العشق لا يمكن تعلمه في المدارس!)**، ثم أخذ جلال الدين يرمي ببقية المؤلفات في الماء!!.

نعم هذا هو جلال الرومي الذي عاتب زوجته يوماً حينما رآها ترفع الغبار عن كتبه وتنظفها له فقال لها: (ماذا تفعلين هنا؟).

فقالت له: إني أنظفها لك.

فقال جلال: (إني أفهم ذلك، لكن أرجو ألا تلمسي كتبي مرة أخرى، وفي الحقيقة، أفضل ألاَّ تدخلي هذه الغرفة على الإطلاق).

وما لبث جلال مع شمس التبريزي فترة وجيزة إلاّ وقال له:(منذ أن عرفتك صارت هذه الكتبُ في نظري غَثّةً باردةً).

هكذا كان جلال الدين وهكذا صار.

ولم يكن فعل شمس التبريزي مع جلال الرومي هو أول فعل أو آخر فعل يفعله شيخ مع مريده.

يقول الإمام الشعراني: (وكانت مجاهداتي على يد سيدي علي الخواص كثيرة متنوعة، منها أنه أمرني أول اجتماعي عليه ببيع جميع كتبي والتصدق بثمنها على الفقراء، ففعلت، وكانت كتباً نفسية مما يساوي عادة ثمناً كبيراً، فبعتها وتصدقت بثمنها. فصار عندي التفات

إليها لكثرة تعبي فيها وكتابة الحواشي والتعليقات عليها. حتى صرت كأنني سلبت العلم.

فقال لي: اعمل على قطع التفاتك إليها بكثرة ذكر الله عز وجل، فإنهم قالوا: ملتفت لا يصل، فعملت على قطع الالتفات إليها مدة حتى خلصت بحمد الله من ذلك).

إذاً فقد قضى شمس على عاملٍ آخر من عوامل العقل والفكر عند جلال الدين، حيث لا يمكن لمن أراد بلوغ مرتبة العشق أن يكون له شاغلٌ آخر سوى مولاه.

ومما كان جلال مفتوناً به شعر المتنبي، وقد تم إغراق ديوانه مع ما غرق من الكتب، وصار جلال الدين شبه فارغٍ مما كان مشغولاً به ليله ونهاره، وكان لابد لشمس من ملء ذلك الفراغ بما يجذب فؤاد جلال إلى الوجد والعشق الإلهي؛ وكان (السماع)[13] هو الوسيلة التي أعدها شمس له والتي دخل منها إلى حال: (الوله، الوجد، الفناء،...إلخ)، ومن ثم بلوغ مرحلة العشق الإلهي.

[13] السماع: هو الإنشاد على أنغام الموسيقى الصادرة عن الدف والناي وغيرهما.

ولذا يقول شمس التبريزي موضحاً: **(إن التجلي الإلهي لا يقع بدون السماع، لأن السماع يفصل الإنسان عن عالم المادة)**.

وإذا كان السماع يمثل تلك الأهمية عند شمس التبريزي فليس بعجيب أن يقول (سلطان ولد): إن الرجلين (شمس وجلال) كانا يفقدان وعيهما أثناء السماع فلا ينطقان إلا باسم المعشوق الإلهي (الله) بين الفينة والأخرى.

إذاً فقد كان السماع من أدوات شمس لتحرير جلال الدين من قيود المادة والعقل المانعان للقلب من الانطلاق في عالم العشق المطلق.

ولذا نجد جلال الدين يعلق أهمية كبيرة على السماع فيقول: (إن السماع غذاء العاشقين وسبيل القرب من الله سبحانه وتعالى).

ويقول معرفاً: أتعرف ما السماع؟

هو سماع كلمة بلى، هو نسيان النفس والوصول إلى الله.

أتعرف ما السماع؟

هو رؤية حال الحبيب وإدراكه، وهو سماع الأسرار الإلهية من خلف أستار اللاهوتية.

أتعرف ما السماع؟

هو الغياب عن الوجود، وتذوق الخلود في الفناء.

أتعرف ما السماع؟

هو محاربة النفس، والرقص على الأرض كدجاجة نصف مذبوحة مضمخة بدمها.

أتعرف ما السماع؟

هو دواء النبي يعقوب وشم ريح يوسف من قميصه.

أتعرف ما السماع؟

هو عصا موسى التي تلقف سحر فرعون في كل حين.

أتعرف ما السماع؟

هو الوصول إلى السر الإلهي، الذي لم تستطع الملائكة الوصول إليه

أتعرف ما السماع؟

هو فتح الفؤاد كشمس التبريزي ومشاهدة الأنوار القدسية.

مما مضى يتبين أهمية السماع عند جلال وشمس، ولهذا فالسماع عند أتباع المولوية (أتباع جلال الدين) من أُسس طريقتهم لبلوغ مرتبة العشق الإلهي، وبدونه لا يمكن ذلك.

لقد ظل شمس مع جلال في خلوتهم يصومون النهار ويقيمون الليل ويتذاكرون فيما بينهم، وكان نتاج هذه المذاكرة أن خرج جلال الدين بقواعد العشق الأربعون والتي سيأتي ذكرها وشرحها- إن شاء الله- وكان السماع رفيقهما فيها، وكذلك ظل اعتراض الناس على شمس يزداد يوماً بعد يوم، فإن خرج شمس أغاظهم وإن لم يخرج وحبس عنهم جلال الدين أغاظهم، فقد كان في تلك الحالتين غير مقبول عندهم. حتى إنه في يوم من الأيام دخل على شمس رجلٌ غاضباً وقال له بنبرة حادة وصوت مرتفع: من أعطاك الحق في أن تسد علينا باب مولانا؟ ولا تكف عن سؤال كل من يزوره ماذا أحضر معه لمولانا، ثم ماذا عنك أنت ماذا أحضرت لمولانا؟.

فقال له شمس: **(أحضرت له نفسي، لقد ضحيت برأسي من أجله)**.

يقول مولانا محيى الدين ابن عربي: (اقتضت الحكمة الإلهية عدم اتفاق الخلق على اعتقاد ولي من الأولياء والإذعان له لسر خفي هو

إنه لو كان كل الخلق مصدقين له؛ فاته أجر الصبر على التكذيب، ولو كانوا كلهم مكذبين له؛ فاته الشكر على تصديق المصدقين له والمعتقدين لآثاره؛ فجعلهم الحق قسمين: معتقد ومنتقد، ليتعبد الله فيمن صدقه بالشكر، وفيمن كذبه بالصبر).

وقد شعر شمس بحقد الناس عليه، وتخطيطهم للإضرار به، ولم يكن تم بينهم عاماً وثلاثة شهور فقط، وما إن انتهى شمس من قواعد العشق الأربعون إلاّ ورحل فجأة عن قونية وترك جلالاً بدون مقدمات!.

وكان ذلك يوم الخميس الموافق 21 من شوال عام 643 هجرياّ.

وتلك هي المرة الأولى التي يغيب فيها شمس عن جلال الدين .

لا يمكن لأحد أن يصف شعور جلال الدين، فلو كان ولده أو زوجته أو الناس جميعاً هم الذين رحلوا عن جلال ما حزن كل هذا الحزن، وما شعر بذلك الفراغ الرهيب الذي تركه له الحبيب شمس التبريزي.

ولم يجد جلال الدين مفراً من تلك الأحزان إلاَّ أن يكتب الشعر الذي لم يكن يكتبه إلا في شمس، إلاّ أن جلال الدين صار يكتب الشعر في العشق الإلهي أيضاً فكتب ديوانه الكبير (شمس الحقائق)، وكتب الكثير من(الغزليات والأشعار) التي صارت ديدن المحبين والعشاق إلى الآن.

ومما كتبه في هذه المرحلة في حبيبه شمس التبريزي:

إن شهدت حشداً بيـــن الناس فاهتف بأعلى صوتك أيها المنادي:

يا إخوتـي المسلميـن هل فيكم مــن شهـد المــلاك الهـــارب؟

أنا أبحث عن أدني أثر لشمس الدين وروحي هي المكافأة لمن دلني عليه!

أي حب تملك جلال الدين تجاه شمس؟ وأي قلب هو قلبه جلال؟

يقول جلال الدين الرومي:

وحيـن تـراه أيها الصديق أو تراني فمـا هـو إلا أنـا، ومـا أنا إلا هـو

وكما انقطعت أخبار شمس التبريزي فجأة لمدة تزيد عن العام، جاءت منه رسالة إلى جلال الدين يخبره فيها أنه موجود بالشام، ولم يتمالك شمس نفسه من السعادة فأمسك بالقلم وكتب لشمس:

منذ رحيلكم فقدنا حلاوة العيش

نحن، قسماً بالله، الشمعة التي تحترق لتذوب

على مدى ساعات الليل ثم تضمحل

وقسماً بالله منذ فارقتم لم نتذوق العسل

السماع حرم علينا والشعر لم يجُل بخاطرنا

غير أن رسالة البشرى ألهمتني الغزل من جديد

يا شمس الدين يا مفخرة بلاد الشام

والأرمن والروم فلتُهل علينا أنوارك

كيما تكشف عنا دياجي الظلمة.

وأعطى جلال تلك الأشعار إلى ابنه (سلطان)، وأمره أن يسافر إلى الشام، ليسلمها إلى شمس التبريزي ويحاول إقناعه بكل السُّبل أن يعود إلى جلال الدين، وبالفعل سافر سلطان ولد يُرافقه بعض أصحابه إلى دمشق وحلب وهناك قابل شمس الدين. وكان ذلك عام 645 هجرياً الموافق السابع من مايو 1247 ميلادياً.

دخل سلطان إلى الخانقاه التي بها شمس التبريزي، فقبَّل يَدَ شمس ووضع رأسه على قدمه وقال له: (مولانا، إن كلامك من العلوق بالقلب والنفاذ إلى الأعماق على نحو لا أقدر معه على التعبير عنه ولعل كلامك يستحق أن يصعد إلى الجناب الإلهي. إن كلامك المتناغم

المنسجم المفعم باللطف والجلال يحكي صوت السماء الزرقاء صوت العشق والحقيقة. وهو عين الصوت الذي جذب إليه والدي مولانا.

وقد بقى لمدة هائماً بك ومضطرباً، أغلق على نفسه الباب ولم يأذن لأحدٍ بالدخول عليه ويردد على لسانه: شمسُ التبريزي، اسمكم يذكِّر بكلامكم المثير. يريد مرة أُخرى أن يسمع عن قرب الكلام المسكر والجمل الموزونة الساحرة، ويرى وجهك الملكوتي.

وفي أثناء توديعي للبحث عنك قال لي والدي: إما أن تعود بشمس إلى قونية، وإما أن تسلم الروح إلى خالق العالم.

وما أن انتهى سلطان من كلامه حتى شاهد قطرات الدمع تنهمر من عين شمس التبريزي. وعندها أخرج سلطان الأبيات التي كتبها والده في شمس. واستأذنه في قراءتها عليه. فأطرق شمس، فكان مما فيها:

والله الذي كان في الأزل حياً عليماً وقادراً وقيوما

الذي أوقد نوره شموع العشق حتى انكشف منه ألف سر

ومِنْ حُكْم واحدٍ من أحكامه امتلأ العالمُ بالعاشق والعشق والحاكم والمحكوم

وفي طلاسم شمس التبريزي صار كنز عجائبه مكتوماً

إنني منذ اللحظة التي سافرت فيها فُصلتُ عن الحلاوة

كما يفصل الشمع عن العسل

أحترق كل ليلةٍ كالشمع مكتوياً بناره محروماً من عسله

ألا فاجذب العنان إلى هذه الناحية وغلِّظ من فيل العشق الخُرطوم

من دون حضورك لا يكون السماعُ حلالاً كالشيطان طَربَ فَرُجم

جعل الله ليلي منك صباحاً وضاءً يا من فيك فخرُ الشام والأرمن والروم

وما أن انتهى سلطان من إلقاء تلك الكلمات حتى فاز بنظرة الرضا من شمس والتي مفادها لن تعود إلى قونية وحيداً.

يقول جلال الرومي: **(أنا وشمس عاشق ومعشوق، نتخطى بمدد قدرة العشق السحرية النيران والمهالك والانتقادات والتقريعات، لكي نحدد للمدعين حقيقة مفهوم العشق بمعناه المطلق).**

ويقول أيضاً: **(وسلام على الطيبين الذين إذا رأوا جدار روحك يريد أن ينقض أقاموه)**.

****

عودة شمس إلى قونية بعد فراق ستة عشر شهراً

منذ أن طلع شعاعُ شمس التبريزي من الشرق

صارت الأرض والسماءُ روحاً خالصاً أيها العشاق. [14]

يقول جلال الدين خاطباً في الناس:

(على أهل قونية أن يكونوا شاكرين لأن شمساً التبريزي بقوله وفعله وسلوكه يأتي إلى هنا بنهر من العشق والصفاء والإخلاص والأخوة والإنسانية على سبيل الهدية التي يأتي بها المسافر، وهذا النهر سيتصل في المستقبل ببحار أرواح المشتاقين وستغمر أمواجه الدنيا كلها)[15].

[14] ديوان شمس التبريزي.

[15] وقد تحققت بشارة جلال الدين حيث انتشر أمر العشق الذي جاء به شمس لقونية وانتشر وترجمت أعمال كثيرة إلي كثير من لغات العالم.

لم تكن الناس وحدها هي التي تعادي شمساً، بل امتد الأمر إلى الابن الثاني لجلال الدين(علاء الدين)، والذي كان يحظى بمكانة عالية عند الناس، إكراماً لوالده الذي كان يفتخر بعلمه ووقاره وشخصيته في كل مكان قبل قدوم شمس وتحول والده لإنسان آخر؛ تتهامس الناس عند رؤيته ويغتابونه عند رحيله بسبب ما فعله شمس به.

وكان جلال الدين يعرف كل ذلك ولا يجد حيلة في إقناع الناس بولاية شمس، فالناس لها الظاهر وحسب، وكما لا حيلة له مع الناس لا حيلة له مع ولده علاء والذي كان على النقيض من أخيه سلطان.

وأيقن جلال الدين أن المشاكل لن تنتهي بقدوم شمساً، وأن شمس سيرحل مرة أُخرى ويتركه وحيداً، فقرر أن يزوج شمساً الذي بلغ الستين ولم يتزوج، وظن أن بزواج شمس سيستقر معه، ولكن من سيرضى بتزويج ابنته لشمس بعد كل ما يحدث؟! الحقيقة لا يوجد.

ولذا قرر جلال أن يزوج شمساً من ابنة يتيمة كانت في المدرسة قد رباها جلال مع أبنائه، تدعى (كيميا)، فسألها ووافقت، وكانت قد بلغت الخامسة عشر، فسعد بالموافقة وظن أن ما أراده سيكون كما أحب.

وكذلك وافق شمس الدين على الزواج، وأنزله جلال في غرفة تطل نافذتها على المدرسة في الدور الأرضي، وذلك لكونها قريبة من المدرسة وملاصقة لسكن جلال الدين وأولاده.

وكانت أولُ قرارات شمس التبريزي منعَ الناس الذاهبة إلى الساحة أن يمروا من أمامها، وتفهم بعض الناس الوضع ولم يتفهمه الكثيرون وخصوصاً علاء والذي كان من عاداته اصطحاب أصدقائه إلى غرفة الجلوس التي في جناح والده، والتي لكي يصل إليها لا بد وأن يمر على غرفة شمس وعروسه، وكان يتعمد الوقوف أمامها وخلفها هو وأصحابه لكي يضايق شمساً ولكي يشعره أنه مازال ضيفاً، وليس صاحب بيت،وكان ذلك الفعل يسعد أصحابه ويتناقلون مايحدث بينهما.

وفي إحدى المرات خرج شمس من غرفته ورجى علاء الدين وأصحابه بكل احترام أن يُراعي حُرمة المكان ومن فيه، إلاَّ أن علاء قال متهكماً وبمنتهى الغلظة: (يا سيدنا هل تغيرُ ممن تقيم أنت في داره ومسكنه؟).

وانتشر الحوار بين الناس كعادتهم، حتى قال واحد منهم: (أرأيتم مثل هذه الوقاحة بالله؟ ضيف تكرمه وتضيفه في دارك، فإذا به يتحكم في حركات أولادك وسكناتهم. هل هذا معقول؟).

وبالتالي وصل الكلام إلى سمع شمس الذي لم يهنأ بزواجه قط.

ومما زاد الأمر صعوبة وفاة (كيميا) العروس الصغيرة بعد أسبوع واحد من شجار وقع بينها وبين شمس، لخروجها بغير إذنه، وهكذا الحال مع بعض الأولياء إذا غضبوا تسبب غضبهم في هلاك الذي أغضبهم، كما حدث الأمر مع المؤذن الذي أغضب شمس الدين فمات.

لقد وجد أعداء شمس التبريزي في موت (كيميا)، فرصة كبيرة لتحويل غضبهم القولي تجاه شمس إلى فعل؛ فقرروا أن يُبعدوه عن قونيا ولو بقتله، وتناقلت هذه الأخبار حتى وصلت إلى شمس فقال لسلطان: (ألا ترى يا ولدي المدى الذي بلغته عدواتهم لي؟ هذه المرة سأغيب غيبة لا ظهور بعدها)[16].

[16] يقصد شمس- والله أعلم بتلك الغيبة- أنه قد يقتل بالفعل، ولا يعود من تلك الغيبة.

لقد ظل جلال من حين لآخر يرد عن شمس التبريزي قدر المستطاع، ولعل أبرزها حين بلغه أن كثيراً من الناس يرمون شمساً بالسحر والجنون، ولا شك أن تلك التهمة هي تهمة الأنبياء وكبار الأولياء دائماً، فقام جلال الدين غاضباً خاطباً فيهم: **(من يتجرأ ويجيز لنفسه في حضوري أن يذكر شمساً مفخر تبريز بأقبح الكلام؟!.**

فإذا كنتم قد جئتم إلى هنا من أجل كشف الحقيقة فعليكم أن تسعوا إلى أن تحددوا جيداً موضعكم في الكلام. ومهما يكن من أمركم فإنكم ضيوفي ويجب أن تعلموا أن شمساً مقتداي ومُرادي، وإذا كنتم مأجورين لأجل مزيد من المجادلة والمغالطة والاتهام مقابل أموال؛ فعليكم أن تعلموا أنني لا أسمح بأن يُذكر بسوء عشاق الحقيقة، فالكلام على شمس ليس عملاً لكل عاميٍّ قليل العلم طائش عديم التجربة، أنتم وأحباؤكم رأيتم شمساً في الظلمة. وأنا أقول: قطع الله لسان من يَعُدّ شمساً ساحراً وعابداً للشمس).

ورغم كل ما قاله جلال الدين ورغم مكانته وهيبته ودفاعه المستميت عن شمس إلاّ أن ذلك كله لم يفلح مع هؤلاء السطحيين الجاحدين المحجوبين عن الحق والحقيقة.

فما لبس أن اختفى شمس فجأة مثل المرة الأولى وذلك بعد ستة أشهر فقط من عودته، وذلك في ليلة الخامس من شعبان عام645هجرياً، الموافق الخامس من ديسمبر 1247 ميلادياً [17].

ولكن هل اختفى شمس أم قُتل؟!.

لا تصبر الفراشة عن النور وإن هي قصدت النور أحرقها سعدي[18].

****

مقتل شمس

يقول شمس التبريزي: (إن العشق يتفتح ويزدهر فقط في أفئدة أرباب الشرف والفتوَّة والإباء، والعشق في ذاته يُهدي الطهارة والعفة والنقاء وبه يعرج صاحبه إلى ما وراء الكائنات).

إن كان مريدو جلال الدين ومحبوه أرادوا رحيل شمس عن قونية، فقد كان هناك طائفة من المتعصبين المتشددين قتلة العلماء والصالحين في كل زمان، الذين قال عنهم ﷺ:(يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ

[17] المثنوى ..الكتاب الأول ص/21، د. إبراهيم الدسوقي شتا.
[18] سعدي الشيرازي.

وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)[19]، يتربصون بشمس، ويريدون قتله، فهو عندهم مستباح الدم، ولا شك أن هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن الحب والعشق، بل إن أكثر كلامهم عن التكفير والقتل، فلا يستبعد أن يكون هؤلاء هم من كانوا وراء مقتل شمس، هذا إن سلمنا بمقتله، وإن سلمنا بما ورد في مقتله وتورط علاء الدين في ذلك. خصوصاً وقد هدد شمساً بالقتل صراحة إن لم يرحل عن قونية، فهو في نظرهم شيطانٌ وساحرٌ...إلخ.

ولكن شمساً لم يبالِ وقال لهم: (قونية هي المكان الذي لا بد لي من أن أقول الحقائق فيه، وبعد ذلك سأمضي إلى مكان أغيب فيه عن الأنظار).

لا شك أن شمس التبريزي لم يبالِ بتهديدهم لكونه يعلم أن أجله قد اقترب والعشاق يعدون موتهم عرسهم، إذْ هو السبيل الوحيد للقاء معشوقهم الأوحد، دون أن يعكر عشقهم –بعد ذلك– أحد من الخلق.

يقول شمس التبريزي لجلال الرومي: **(أُريد في المستقبل ألاَّ يحطم ألم الفراق قلبك ووجودك وإرادتك.**

---

[19] صحيح البخاري

ومع أنني في الظاهر لن أراكم مرة أُخرى، سيكون روحي وقلبي فوق شريط الزمان في اختياركم، سأكون أمامك، سأقف عياناً ومشاهدة، يقيناً ستسمع صوتي إذْ أقول مُلتمساً يا مولانا أسعف العاشقين تذكرني.

على مولانا أن يعلم أن هذه الليلة هي ليلةُ الوداع.....

آخر وصاياي لك: أن تبحث عن حضرة الحق ليس في السماوات ولا في الأرض، بل في قلب المؤمن. لا تكسر قلباً فإنك إن كسرت قلباً اهتز العرش).

قيل: إن مجموعة من الناس بلغوا سبعاً ومعهم علاء الدين[20]، هم الذين اشتركوا في قتل شمس وقت خروجه من غرفته ليلاً، ثم رموا بجسده في أحد الآبار المهجورة، وقيل: إن هؤلاء القتلة اشترطوا وجود علاء الدين معهم كضمانة لهم لعدم الفتك بهم إذا انكشفوا.

ولما علم سلطان بما حدث وبموقع الجثمان- إلاَّ أنه لم يخبر والده رحمة به، فقد كان يعلم مدى تأثير مثل الفاجعة على جلال- أخذ مجموعةً من أصحابه المخلصين؛ فاستخرج جثمان حبيبه وحبيب والده

[20] قيل: أن جلال الدين دعا على علاء ولعنه! بل إنه رفض أن يُصلي على جثمانه، ولم يسر في جنازته! فهل علم جلال بما حدث، أم كان ذلك كله لظن جلال أن علاءً كان سبباً في أذى شمس مما أدى إلى رحيله مرة أخرى، الله تعالى أعلى وأعلم.

شمس ودفنه في مكان سري،[21] ولم تُعلن تفاصيل الحادثة، وموقع القبر إلا بعد وفاة جلال الدين.

وهناك روايتان: أحدهما مقتل شمس التبريزي والتي توافق ما ورد من كلامه وأخباره باختفائه عن الأنظار، وتوديعه لجلال ووصيته له. والرواية الثانية تقول بنجاة شمس التبريزي، وأياً كان ما حدث، فالحق ما قاله شمس التبريزي: (المصباح الذي أشعلته يد الحقيقة لا ينطفئ).

وقد شك جلال الرومي في تورط ولده علاء الدين في مقتل شمس، أو على الأقل في تركه لقونيا، وهجره له، ولم يغفر له ذلك.

حتى إنه عندما توفى علاء الدين عام 658 هجرياً، لم يصلِّ عليه جلال الدين، بل ولم يشترك في جنازته أو دفنه.

****

يقول أحد الحكماء لمريده

إن كان قلبك معي فأنت بجانبي ولو كنت في أقصى العالم

[21] يقول الدكتور إبراهيم الدسوقي: وأثبتت حفريات محمد أندر عند تجديد الضريح وجود قبر مدهون بالجص واسع إلى حد ما يرجع إلى الفترة السلجوقية.

وإن لم يكن قلبك معي فأنت بعيد عني ولو كنت بجانبي.

****

ما بعد غياب شمس (الأخير)

حبيبي ليس يعدله حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب

حبيبي غاب عن بصري ولكن في فؤادي ما يغيب [22].

لقد ترك هذا الفراق ألماً شديداً في جلال يكاد إذا قيس بالفراق الأول لم يكن شيئاً مذكوراً، خصوصاً بعد أن وصلته أقوالٌ من هنا وهناك مضمونها أن شمس التبريزي قد قُتل غدراً.

[22] **ديوان رابعة العدوية.**

يقول سلطان: (لا أنكر أن الشيخ كاد يفقد عقله بعد فراقه لشمس الدين، لقد ظل يبكي وينوح أياماً وأسابيع بلا انقطاع حتى رحمه الصغار والكبار والنساء والرجال، وراح يوزع المال بلا حساب على الموسيقيين ليُواصلوا الضرب على آلاتهم كي يستمر السماع بلا انقطاع ليل نهار، ومع السماع ظل يدور ويدور حول نفسه، دون أن يأخذ أي قسط من الراحة. وتأثر الناس كلهم بأحزانه فهرعوا لمواساته، وظلوا يدورون حوله ويشاركونه السماع، وأهمل المؤذنون والقراء واجباتهم في المساجد ليتهيأ لهم مشاركته السماع والرقص، وارتفعت بعض الأصوات تحتج بأن ما يفعلونه خروج عن الشرع، لكن أحداً لم يصغ إليها، ولم يأبه بها).

يقول جلال الرومي عن ذلك الفراق:

هل ضر هذا الكون نبض لقائنا أم أن هذا الحزن أدمن أضلعي

قل للمسافات البعيدة بيننا أرجو بحق الله أن تتواضعي

أقول: وليس هذا بغريب على من تملكه الحب، وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**حُبُّكَ الشَّيْءَ: يُعْمِي وَيُصِمُّ**)[23].

عيني لغير جمالكم لا تنظر وسواكموا في خاطري لا يخطرُ
وجميع فكري فيكموا دون الورى وعلى محبتكم أموت وأُحشرُ

لم يرتح جلال لحظة واحدة وحاول بكل الطرق دفع ذلك الفراغ الشمسي من داخله وخارجه، إلا أنه لم يستطع ذلك، ولم يصدق جلال رواية مقتل شمس، أو إن شئت قلت: لم يرغب في تصديقها ولو رأى شمساً مقتولاً بعينيه لقال: هذا ليس بشمس، وقد حدث مثل ذلك مع طوائف وديانات كثيرة، فكانوا لا يصدقون موت نبيهم أو شيخهم، ومن ثم يدَّعون عودته مرة أُخرى وينتظرون ذلك جيلاً بعد جيل وما ذلك إلاّ من أثر سلطان الحب والوله بالمحبوب.

يقول الرومي: (**من قال إن هذا الملك السامي قد مات؟ من قال إن شمس الأمل قد انطفأت. كلا، كلا لا بد أن عدواً للشمس أعماه ضياؤها فظن أن الشمس قد غابت**).

[23] سنن أبي داود ومسند أحمد.

وليس أبلغ في بيان حال الرومي بعد شمس مثل ما حكاه سلطان ولد حيث قال: قرع باب بيتنا تاجر، بدا أنه أسوأ كذاب على وجه الأرض. فقد أقسم أن شمساً حيٌّ في الهند، وينتظر الوقت الملائم حتى يعود.

وإذا بوالدي يسأل الرجل ماذا يريد لقاء هذا الخبر العظيم؟.

فقال الرجل: إنه يرغب في قفطان والدي المخملي.

فخلعه أبي وأعطاه إياه.

فقلت لأبي: لماذا أعطيته قفطانك الثمين وأنت تعلم أنه يكذب؟!

فقال أبي: أتظن أن ثمن القفطان يساوي ثمن أكذوبته؟

لكن تخيل لو كان صادقاً في قوله، لو كان شمس لا يزال حياً، لكنت مستعداً لتقديم حياتي من أجله.

إذا علمنا تلك الحالة التي كان يمر بها جلال الدين لم نتعجب إذا علمنا أنه قرر أن يرحل بنفسه إلى الشام، حيث كان مقر شمس الأخير، ليبحث بنفسه عن حبيبه شمس، وظل يبحث ويبحث في ظلمات الحزن المخيم على فؤاده، إلاّ أن الشمس لم تشرق مرة أُخرى.

لم يمل جلال من البحث عن شمس ولو ظل عمره كله باحثاً عنه، ولكن شيئاً ما في قلب جلال حدث، فقد كان يبحث عن شمسه في الخارج، بينما أشرقت عليه شمسُ شمسٍ من داخله هذه المرة، فنجده يقول: ((**ما دُمتُ أنا هو، فعمَّ أبحث في الشام؟**)).

ويقول أيضاً:

هو وأنا منفصلان الآن والمكان لا يجمعنا

لكن كلاً منا نور، والنوران امتزجا

النور لا جسد له ولا أنفاس

فلو رأيته رأيتني أيها الرقيب

فاعلم بأنني وإياه واحد

****

وهكذا عاد جلال الدين حاملاً بداخله شمس التبريزي بعدما أشرق من فؤاده حيث لن يتمكن من رؤيته غيره، بل حيث لن يقدر شمس على فراقه بعد الآن، إذْ صار شمس وجلال كلاهما (مولانا).

لقد عاد جلال الدين أخيراً إلى قونيا، إلى أحبابه وتلاميذه الذين قد هجرهم منذ ظهور شمس في حياته، ولم يُدرك الجميع أن الذي عاد لهم هو شمس وليس جلال الدين!!.

لقد اختلفوا في مكان قبر شمس التبريزي، فمنهم من قال: في قونيا ومنهم من قال: في تبريز، إلاّ أن قبر شمس كان في قلب جلال الدين، فأهل المحبة والعشق لا قبر لهم، فهم أحياء وإن قبروا.

وكأن نهاية شمس بداية جلال، فقد كان جلال من قبل يحاول أن يملأ الفراغ الشديد الذي تركه له شمس بغيابه، فلم يفلح، أما الآن فلم يعد هناك فراغ عند جلال الدين ليملؤه، فقد صيره عشقه لمولاه عز وجل، غائب عن كل شيء، وعن كل أحد.

وقد عاش جلالَ الدين بعد فراق شمس التبريزي قرابة سبعة وعشرين عاماً ، كان جلالاً فصار شمساً تشع للناس حُباً، وتملأ الكون عشقاً.

وقد تبع جلالَ الدين في طريقته خلقٌ كثير في وقته، ولا زالت طريقته إلى الآن حية تنبض بالذكر وتنهل من فيضه العرفاني إلى يومنا هذا.

لقد انشغل جلال الدين بتدوين كل ما يفيض عليه من أشعار وسجلها في كتابه الأول (المثنوي) والذي يحتوي على (خمسة وعشرين ألف بيت) جمعت في (ستة مجلدات)، والذي ظل يؤلفه ليل نهار على جميع أحواله، ويمليه على تلميذه الحبيب النجيب (**حسام الدين جلبي**)[24].

وقد جمع فيه المواعظ والمعارف والنصائح والحكايات،والنواد..إلخ واستمر هكذا إلى أن وافته المنية، رحمه الله ونفع المحبين به.

ومن مؤلفاته أيضاً:

(الديوان الكبير، ديوان شمس التبريزي، وكتاب فيه ما فيه، والمجالس السبعة، والمكتوبات).

لا شك أن هذا الفيض يشبه إلى حد ما فيض ابن عربي صاحب الفتوحات المكية التي لا زالت إلى يومنا هذا مرجع جميع الصوفية.

---

[24] لقد بلغت محبة جلال الدين لتلميذه حسام الدين مبلغاً كبيراً حتى إنه أثنى عليه في كتابه وكتب فيه أبياتاً منها ما ورد في أول المجلد الثالث: (يا ضياء الحق وحسام الدين ها هو المجلد الثالث يظهر إلي الوجود؛ فأخرج خزائن الأسرار واترك الأعذار ما دامت قوتك من قوة الله). ومنها ما ورد في بداية المجلد السادس : (يا حياة القلب يا رجل المعاني ها أنا أهديك المجلد الأخير من المثنوي).

وهذه هي الأبيات الثمانية عشر الأولى للمثنوي :

اصغ إلى شكاية هذا الناي، وكيف يحكي آلام الفراق.

يقول : منذ فصلت عن أدغال القصب تأوه لنواحي الرجال والنساء.

وها أنا أبحث عن القلب الحزين كي أشاركه أحزاني وأشواقي.

لأن من تباعد عن وطنه لابد أن يتلهف لساعة اللقاء.

أنا الناي الذي ترنم بالألحان في أفراح الناس وأحزانهم.

حتى خُيل لكم منهم أنه صار لي رفيقاً

مع أنه لم يحاول استكناه بواطن أسراري.

ليس من فرق بين ما خفيه من سر وما أشعر به من حزن،

لكن ذلك النور لا تراه عين ولا تسمعه أذن!

الجسد ليس محجوباً عن الروح، والروح غير مستورة عن الجسد،

لكن مشاهدة الروح لم يُسمح بها لإنسان.

نغمة هذا الناي نار وليست نسمة ريح،

فلا كان من لم يحترق بهذا اللهيب.

جذوة النار أصابت قصبة الناي،

وحميا العشق تمايلت في الشراب.

عند فراق الحبيب صار الناي رفيقاً، نقابه مزق نقابنا وقُضي الأمر.

والناي يحكي قصة طريق مُخضب بالدم،

ما يفتأ بسرد تفاصيل حكاية المجنون.

هل شهدتم سماً كالناي وترياقاً كالناي؟!

هل رأيتم أحداً يتحمل الأشواق كالناي؟

هذا السر قد حرم على من لا عقل له إذ ليس للسان من مشتر غير الأذن !

بالهموم تقضت أيامنا وحلت الليالي، ورفيق طريقنا احترق ومضي.

إن ذهبت الأيام فقل : مُري وزولي، فما نعبأ بك،

لكن لتبقى معنا أيها الحبيب الذي لا نظير له في الطُهر والعفاف.

من ليس من فصيلة الأسماك تاه في الماء ،

ومن بقي بلا رزق طالت أيام محنته.

لكن الإنسان الساذج لن يفهم أحوال من حنكته التجارب

وذلك يقتضي أن نقطع هذا الكلام والسلام.

لقد صار مشرب جلال الدين هو العشق، العشق فقط، وكان يتخذ السماع والدوران وسيلة للوصول إلى الفصل الذي هو عين الوصل.

ومع نهاية المثنوي تأتي نهاية جلال الدين وتنتهي سنوات لم تعهدها قونيا من العشق الإلهي. فما أن انتهى جلال الدين من تأليف المثنوي، حتى صار يشكو أوجاعاً في كبده، وكانت الحمى تنتابه كثيراً، ومن أقواله الخالدة في تلك الظروف: (**الذين يموتون بعد اكتشافهم الحقيقة، يذوبون في حضور الحبيب كما يذوب السكر في الماء. إنهم أرق من الملائكة، وأشد منها شفافية. إنهم يموتون بشكل آخر لا عهد للبشر به. هل تتصور أن الأسود تفارق الحياة عند عتبات المنازل، كما تفعل الكلاب؟! كلا!!**

العشاق حين يفنون في طريق العرفان يلاقون سلطان الأرواح، العشاق يموتون، وعيون أرواحهم مفتوحة تلتمس رؤية المعشوق الإلهي، في حين يموت الجهال وهم صم بكم عمي. العاشق شبيه باللؤلؤة التي لا تعرف قيمتها إلا بعد استخراجها من الصدفة، فهو لا يموت في أحضان أبويه، بل يُحلق في أرجاء السموات. هو لذلك لا يحس بمشاعر الخوف عند اقتراب المنية، بل يذهب وهو في أشد حالات الإيمان والطمأنينة والسكينة)، (لست سلطاناً يسلبه الموت عرشه فيحمله الناس وهو في التابوت فوق أعناقهم كالعبيد، ما أنا إلا رجل خلقه الله من شراب العشق).

وقد زاره في مرض موته العارف بالله: (صدر الدين القونوي)، وكان جلال الدين ينظر إليه ويقول له: **(لا تنظر إلى وجهي الذابل الشاحب، بل فكر فيما أملكه من قوة ، أنا أشبه الشمس في جبروتها، وأمثل مياه البحر التي تحتوي اللآلي الثمينة، في داخل قلبي تقوم السماء، وفي خارجه توجد الأرض، في وعاء العالم ما زلت أصير مثل نحلة العسل، لكن لا تُصغ إلى صوتها فقط، بل راقب خلية العسل الفائضة بالشهد، من قال إني أحتضر وأموت ، وها تحتي البراق مطأطئ الرأس على استعداد ليحملني إلى السموات العلى؟ حلق يا طير روحي، فتحت رجلي مئات الحصون التي هي أقوى من جميع قلاع الأرض.**

أنا نور الشمس الذي يشع نهاراً فوق المنازل، أنا العميق المصنوع من الطين، أنا الذهب المتوهج، وأنا الياقوت الغالي، وفي كل ذرة مني يوجد كنز).

لقد ظل جلال الدين عاشقاً إلى آخر أنفاسه وكلماته، وهذا مسك ختامه، وكان يلازمه إلى آخر أنفاسه تلميذه ومحبوبه (حسام الدين جلبي)، الذي امتدحه جلال الدين وقال عنه: هو مفتاح خزائن العرش وأمير كنوز الفرش، وبا يزيد الوقت وجنيد الزمان، وهو لي الابن والأب وهو لي النور والبصر[25].

فليس بغريب بعد كل تلك الأوصاف أن يصير حسام الدين هو الخليفة الأول للمولوية بعد وفاة جلال الدين الرومي، خصوصاً وقد استخلفه جلال الدين في حياته كمتصرف في جميع شؤون الزاوية.

وكانت وصية جلال الدين لمن حوله: (أوصيكم بتقوى الله العظيم وطاعته أينما كنتم، وبقلة الطعام وقلة النوم، وقلة الكلام، وأوصيكم أن تتباعدوا عن الشرور والآثام، وأن تواصلوا الصلاة والصيام، وأن تتحملوا أذى الناس وتصبروا عليه، خير الناس أنفعهم للناس، وخير الكلام ما قل ودل، والحمد لله وحده).

---

[25] انظر المكتوبات والمثنوي الكتاب الأول.

وفي فجر الخامس من جمادى الآخر عام 672 هجرياً الموافق السابع عشر من ديسمبر عام 1273ميلادياً، انتقل جلال العشق إلى مولاه ومعشوقه تبارك وتعالى.وقد تجمع أهالي قونيا والقرى المجاورة لها، وما إن علموا الخبر حتى تعالت أصوات البكاء في أنحاء قونيا، ولما خرج الجثمان الطاهر، كان الزحام مهولاً، وجاء الناس باختلاف دياناتهم من كل مكان، فالمسلمون يقولون: كان نوراً من أنوار الرسولﷺ،والمسيحيون يقولون: إنه كان على خلق المسيح، واليهود يقولون: كان على خلق موسى، وتسابق الكل على رفع النعش حتى اضطرت الشرطة أن تدفع الناس بالقوة، والناس تتوافد من كل مكان، يودعون مولاهم العاشق الذي لم تنجب قونية مثله. وكان خلفَ الجنازة العلماءُ والصوفيةُ، ورجالُ الدولة، والقساوسُ، والحاخاماتُ[26]، وكانوا جميعاً يُرتلون أناشديهم الدينية، وكذلك سعى أتباع جلال الدين في جنازته بالسماع من بيته وحتى بلغوا الضريح، ومن شدة الزحام تأخر سير الموكب حتى انتهى اليوم بكامله في الطريق ووصل إلى الضريح ليلاً. واجتمع الناس للصلاة على مجلى العشق، وتقدم صدر الدين القونوي للصلاة عليه، إلاّ أن البكاء غلبه وسقط مغشياً عليه، ثم أفاق وصلى عليه، وقيل: إن الذي صلى عليه هو القاضي سراج الدين الأرموي محله وصلى بالناس، ثم دفن الرومي بجانب والده، ومن ثم

[26] وتلك الجنازة تشبه إلى حد كبير جنازة الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي.

انصرف الناس، ولم يبق عند الضريح غير أشخاص قليلة، كان منهم حسام الدين، الذي أخذ يقرأ بصوت مسموع بيتي شعر لجلال الدين:

بعد ذهابنا لا تبحث في التراب عن مزارنا

ذلك أننا... سنستقر في قلوب العارفين

هنا انتهت قصة جلال الرومي وحاله مع شيخ فتحه شمس التبريزي.

****

مدخل لقواعد العشق الأربعون

بدأ جلال الدين تدوين تلك القواعد وقت انقطاعه عن الناس، منذ تعرفه على شمس التبريزي الذي ألقاها عليه، وكان لها تأثيرها البالغ على جلال الدين.

لو مدحت العشق بمائة ألف ألف لغة لظل جماله أكثر من هذه التمتمات.

..... جلال الرومي

العشقُ في أزلِ الآزال من قِدَمٍ فيه به منه يبدو فيه إبداءُ

العشق لا حَدَثٌ إذا كان هو صفةً من الصِّفات لمن قَتْلَاهُ أحياءُ[27].

[27] الأبيات للحسين بن منصور الحلاج.

مدخل

((ما هو العشق))

يقول جلال الدين الرومي: سألني أحدهم: ما العشق؟.
قلت: كن أنا تدرك.
ومن أين لك معرفة العشق؟
والحال أنه لا يمكن تعلمه من قراءة الكتب والدفاتر.
فرؤية الجمرات في الموقد، والعسل في القنينة ليست علماً.
لأن هذا العلم علم ذوقي لا يعرفه إلا من يذوقه.
ومن ادعى أنه يعلم فعلمه هذا مجرد ظن لا غير.

وما دام الأمر كذلك فتعلم أنت الوقوع ممن وقع، والحرقة ممن احترق، وتنفس عطر العشق من أنفاس العاشق الملهوف. ثم ابدأ رحلتك من هذه الإشارات، واعشق إن كنت تريد معرفة العشق.

ويقول أيضاً: إن العشق جعل جسم الأرض يعلو على الأفلاك، فرقص الجبل وأضحى خفيف الحركة... العشق حل في روح الطور فسكر الطور وخر موسى صعقاً.

((هكذا لخص جلال الدين كل ما يمكن أن يقال عن العشق)).

والعشق لغة: عَشق الشيء :هوية وتعلق قلبه به وأحبه حباً شديداً.
عَشِقَهُ: أحبه أشد الحب، فهو عاشقٌ، وهي عاشقٌ وعاشقةٌ[28].
عِشْقَ : إفراط في الحب، غرام ، حب شديد [29].

وقد ورد العشق فى القرآن بأسماء مختلفة غير مسمى العشق، فجاء بمعنى: شدة المحبة الآخذة بقلب المحب كلية عن سوى محبوبه. قال تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)[30].

[28] المعجم الوسيط.
[29] اللغة العربية المعاصرة.
[30] سورة يوسف الآية 30.

وقال تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)[31].

وقال تعالى:(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى)[32].

لقد ورد حب الله في آيات كثيرة، ذكرت حبه تعالى (للمحسنين، والتوابين، والمتطهرين، والمتقين،والصابرين،والمتوكلين، والمقسطين، والمقاتلين).**وبرغم كل ما ورد في حب الله لهؤلاء، إلاّ أن الحب لم يأتِ بصورة تكليفٍ شرعيٍّ لكونه أمراً غريزياً، ولكن التكليف جاء بمتعلقاته وأسبابه.**

وقد ورد الحب في أحاديث كثيرة سيأتي ذكر شئٍ منها:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)**[33].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَبْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءً وَصِبْيَانًا مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ مُمْتَنًّا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ **أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ)**[34].

---

[31] سورة البقرة الآية 165.
[32] سورة طه الآية 39.
[33] صحيح مسلم وصحيح ابن حبان.
[34] صحيح البخاري.... وقالها ﷺ في الأنصار أيضاً.

سُأل النبيﷺأَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ **قَالَ: "عَائِشَةُ"** فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ، فَقَالَ:**"أَبُوهَا"**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ، قَالَ:" **ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**"، فَعَدَّ رِجَالًا)[35].

وعَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ التَّيْمِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلَى عَائِشَةَ، فَسُئِلَتْ: **أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ قَالَتْ: " **فَاطِمَةُ** "، فَقِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: " **زَوْجُهَا** إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا)[36].

وليس أعظم منزلة في المحبة من حديث معية المحب لمحبوبه: ورد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: (مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: "وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ " قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا **أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﷺ فَقَالَ: " **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ".

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النبِيّ ﷺ:(**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**)، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ)[37].

((هكذا كان الحب بين النبيﷺ والصحابة وأهل بيته والمؤمنين جميعاً))

[35] صحيح البخاري ومسلم.
[36] سنن الترمذي.
[37] صحيح البخاري ومسلم.

يقول جلال الرومي:**(العمر الذي مرَّ بلا عشق كان لم يكن، فالعشق ماء الحياة، تقبله بقلبك وروحك. وكل من لا يعشقون إعتبرهم أسماكاً خرجت من الماء. إعتبرهم موتى ذابلين حتى وإن كانوا ملوكاً).**

قالوا عن الحب:

الحب أولُ ما يكون لجاجةً يأتي بها وتسوقه الأقدارُ
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمورٌ لا تُطاق كبارُ

****

أربعون قولاً من أقوال جلال الدين الرومي في: الحب

(1) مت في الحب وابق حياً للأبد.

(2) الحب الذي لا يهتم إلا بالجمال الجسدي ليس حباً حقيقياً.

(3) ليس التفاهم باللفات ولكن بأحاسيس .

(4) بغير هذا الحُب، لا تكن.

(5) مهمتك هي عدم السعي وراء الحب، بل أن تسعى وتجد كل الحواجز التي كنت قد بنيت بينك وبينه.

(6) ليس من سائل مثل دمعة همت من مقلة لحبيب.

(7) وحين يشع نور الحب في القلب فذاك يعني أن هناك إحساساً بالحب في القلب الآخر .

(8) ليس لكل أحد أن يكون محبوباً، لأن المحبوب يحتاج إلى صفات وفضائل، لا يرزقها كل إنسان، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه في الحب وينعم به، فإذا فاتك أيها القارئ العزيز أن تكون محبوباً، فلا يفتك يا عزيزي أن تكون محباً.

(9) لا حُب أفضل من حُبٍّ بدون حبيب، ليس أصلح من عمل صالح دون غاية.

(10) ما دمت أنت من تقبض الروح، فالموت أحلى من الشهد, وما دمت سأكون معك ، فالموت أحلى من الروح.

(11) أنا أحب الحُب والحب يحُبني. فتحت ذراعي للحُب والحب احتضنني كحبيب.

(12) بغير هذا الحُب لا تكن.

(13) إن مهمتك ليست البحث عن الحب!. بل البحث بداخلك عن تلك الجدران والحواجز التي تبقيه بعيداً عن روحك.

(14) الحب يعني: أن تميل بكلك إلى المحبوب ثم تؤثره على نفسك وروحك ومالك ثم توافقه سراً وجهراً ثم تعترف بتقصيرك في حبه.

(15) يقول الحُب : إن لم تجدني بداخلك فلن تجدني أبداً.

(16) الحب لا يمكن تفسيره، فهو كل شيء.

(17) الطريق للسماء بداخلك. فقط حرك أجنحة الحب.

(18) وكل شيء إلى زوال ويبقى الحب.

(19) بالمحبة تصبح المرارة حلوة، ويصبح النحاس ذهباً، والآلام شافية.

(20) أولئك الذين يملكون قلوباً مليئة بالحب تكون أياديهم دائماً ممدودة.

(21) داوم على كسر قلبك حتى تفتحه.

(22) فقط من القلب يمكنك أن تلمس السماوات.

(23) كل الناس تسمع صوتي إلاّ أنت تسمع قلبي.

(24) جمال واحد يبقى للأبد ولا يشيب.. جمال القلب.

(25) ويسأل المحبوب حبيبه : هل تحب نفسك أكثر مما تُحبني؟

ويجيب الحبيب : لقد ماتت نفسي وعاشت بك.

(26) ما الروح بلا حب إلاّ شبح باهت مدفون في بدن.

(27) كل وجود إنما هو في وصاله.

(28) الأفلاك التي تدور في سمواتها، إنما تحركها أمواج الحب، ولولا الحب لكانت كالجليد تتجمد.

(29) أنا أُحبك بروحي والروح لا تتوقف أبداً ولا تنسى.

(30) الحُب الذي لا يهتم بالجمال الحسي ليس حباً حقيقياً.

(31) للقلب المُغرم: كل الأشياء ممكنة.

(32) وما استطعت لا تسعَ في الفراق.

(33) الحب في كل الأديان.

(34) حقيقة المحبة: أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شيء.

(35) ما تبحث عنه يبحث عنك.

(36) قلت: لن أموت قبل أن أعرفك. قال: من يعرفني لا يموت.

(37) إن أغواك الخبز فلن تجد إلاّ الخبز؛ إنك تصبح ما تبحث عنه.

(38) وسلام على الطيبين الذين إذا رأوا جدار روحك يريد أن ينقض أقاموه.

(39) اجلس مع أولئك الذين يجذبونك للضياء.

(40) إن هذه الحياة أقصر من شهقة وزفيرها، فلا تغرس بها سوى بذور المحبة.

يقول شمس التبريزي عن جلال الدين: **(ليس من الشرق ولا من الغرب، إنه ينتمي إلى مملكة الحب، إنه ينتمي إلى المحبوب)**.

أقول: إن الحب في كل شيء حولنا، أدركنا ذلك أم لم ندركه، إنه سر بقاء الحياة، وهو أزلي أبدي، لكونه وصفٌ من أوصاف الله عز وجل، والمحب هو الذي يفر إلى الله فلا صبر له على لقاء محبوبه تبارك وتعالى، ولذا نرى المحب هو التقي النقي بكل ما تحويه كلمة التقوى من معنى، وبكل ما تحويه كلمة النقاء من حقيقة، وإن كان للمحب ألف أدب مع من يحب، فإن للعشق أدباً واحداً يفوق كل تلك الآداب، ألا وهو فناء العاشق في معشوقه.

ومن عجبٍ أني أحنّ إليهمُ وأسأل عنهمُ شوقاً وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي [38].

يقول محيى الدين ابن عربي:

أدين بدين الحب أنَّى توجهتْ ركائبهُ فالحبُّ ديني وإيماني [39].

وأخطأ من ظن أن هناك محب يغالي في حبه، سواء أكان هذا الحب لنبي أو ولي، إذْ لا يتصور من عاقل أن يتهم أحداً بالغلو في محبة الله

---

[38] مالك ابن المرحل السبتي.

[39] دين الحب هو الإسلام ... والأبيات لمحي الدين ابن عربي (ترجمان الأشواق).

تعالى. لماذا نقول أخطأ لأنه لم يعاين ما عاين المحب، ولو عاين وذاق ما ذاقه المحب، لوصف المحب بالتقصير في حب محبوبه.

اللهم إلاَّ أن يكون الغلو هو وصف المحبوب بما ليس له كالألوهية، أو أن يصف محبوبه بما تفرد به غيره كالشفاعة الكبرى لنبينا ﷺ.

ولذ يضع لنا الحبيب الأعظم والنبي الأكرم قاعدة هامة:(لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)[40].

ولذا فقول البوصيري:

((ومبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم))

وأمثاله من أقوال أهل المحبة في رسول اللهﷺ هو قليل في حقه، مقابل مكانته العظمىﷺ التي خصه الله بها،[41] وعلى ذلك يكون القياس.

****

العشق في الأحاديث النبوية

وقدورد العشق بمسماه صراحة وإن كانت أحاديث ضعيفة،ومنها:

---

[40] صحيح البخاري.

[41] راجع: كتاب العظمة المحمدية (للمؤلف).

(مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ)[42].

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ وَالْحَسَنِ؛ قَالا: **لا عِشْنَا إِلَى زَمَانٍ لا يُعْشَقُ فِيهِ**، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سمعت النَّبِيَّﷺ يَقُولُ: (الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ)[43].

وعن أنس رضي الله عنه: **(لا تَسْتَشِيرُوا أَهْلَ الْعِشْقِ فَلَيْسَ لَهُمْ رَأْيٌ فِيمَا أَنَّ قُلُوبَهُمْ مُحْتَرِقَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَوَاصِلَةٌ، وَعُقُولَهُمْ مَسْلُوبَةٌ)**[44].

((((الحب والعشق ليسا بيد الإنسان))))

قال رجل لسيدنا عمر بن الخطابﷺ: يا أمير المؤمنين إني رأيت امرأة فعشقتها. فقال سيدنا عمرﷺ: ذاك مما لا يُملك!!.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: **(اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ)**[45].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى

---

[42] تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، ومشيخة ابن الجوزي، وتعليقات الدارقطني. ورواه سويد أيضاً عن ابن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً. ورواه الخطيب.

والصواب أنه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه.

[43] تاريخ بغداد، وأصل الحديث رواه أحمد والحاكم.

[44] تذكرة الموضوعات للفتني وتنزيه الشريعة لابن عراق.

[45] سنن أبي داود، وقال : يعني (القلب) وسنن البيهقي والحاكم في المستدرك.

لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ، أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَاجَعْتِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ)[46].

قال ابن القيم:

(لما كان الفهم لهذا المسمى أشد، وهو بقلوبهم عالق، كانت أسماؤه لديهم أكثر...فوضعوا له قريباً من ستين اسماً. فهي:

(المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والداء المخامر، والخلة، والود، والحلم، والغرام، والهيام، والتدليه، والوله، والتعبد) [47].

---

[46] صحيح البخاري ومسلم.

[47] روضة المحبين لابن القيم.

قالت: جُننت بمن تهوى فقلت لها: العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنونُ في الحين

((سرُّ العشق))

يقول بهاء الدين والد جلال الدين الرومي: (**حيثما يبلُغُ العشق درجة الكمال لا يمكن بيان كيفيته، وكلما تبينت الكيفية ذهب العشقُ والمحبة وضاع الجمال**)[48].

ويقول جلال الرومي: (**عندما فهمت سر العشق بمعونة شمس، تغير كل شيء في وجودي. وكان شمس يقول: العشق يرفع الإنسان إلى مقام الكروبيين**)[49].

أقول: إن سبب عدم انكشاف سر العشق لغير العشاق هو أن العشق حالة ذوقية لا يعرفها إلاَّ من مرَّ بها، وإن كنا عاجزين عن وصف طعم العسل للغير!! فما بالنا بوصف العشق الذي هو شدة الحب بين العبد وربه سبحانه وتعالى، إن الله تعالى محب، والمحبة من أوصافه عز وجل، وأوصافه تُعلم ولا يعلم كنهها، ولذا سيبقى سر العشق مطلسماً إلاَّ على أهله الذين عاينوه بقلوبهم وأفنوا نفوسهم من أجل لحظة فيه.

يقول محيى الدين ابن عربي:

[48] كتاب المعارف ... محمد بهاء الدين والد جلال الدين الرومي.
[49] الكروبيين: كبار الملائكة المقربين وهم حملة العرش. والمقصد أنه: ينجذب بفعل العشق الإلهي إلى الأمور الروحانية والتعلق بكل ما هو نوراني كحال الملائكة، وهكذا هم عشاق الله عز وجل.

شاع عشقي في البرايا وعلن كن دليلي في الورى يا ذا المنن

صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن.

سأل سائل: ما هو الحب؟

فجاءه الرد: ستعرف عندما تضيع فيه.

الناس في هذا العالم مثل ثلاث فراشات أمام شمعة متوهجة.

فالأولى اقتربت من الشعلة بعض الشيء وقالت : هكذا عرفت العشق.

والثانية اقتربت أكثر فلامست الوهج بطرف جناحها ثم قالت: هكذا عرفت كيف تحرق نيران العشق.

أما الثالثة فاندفعت بكليتها إلى الشعلة واحترقت تماما.

هي وحدها من عرفت ما هو العشق.

****

يقول جلال الرومي: **قلت للعشق ذات ليلة: أصدقني القول من أنت؟**

فقال لي: أنا الحياة الباقية، وأنا العمر المتكرر.

****

سُئل الحلاج ذات يوم عن مذهبه؟ فقال: (أنا على مذهب العشق).

****

((البيان النبوي: لأجل الإنسان وطريقه وأمله))

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: **(هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا)**[50].

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: **(هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ)**[51].

وعَنه أيضاً: أَنّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَّ خُطُوطًا وَخَطَّ خَطًّا نَاحِيَةً، ثُمَّ قَالَ: **(هَلْ تَدْرُونَ مَا ذَا؟ هَذَا مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَمَثَلُ الْمُتَمَنِّي، وَذَلِكَ الْخَطُّ الْأَمَلُ، بَيْنَمَا يَأْمُلُ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ)**[52].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا، ثُمَّ قَالَ:**(هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ:**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)**،

ثُمَّ تَلا قوله تعالى:[53] (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ)[54].

---

[50] صحيح البخاري.
[51] صحيح البخاري.
[52] السنن الكبرى للبيهقي.
[53] سورة الأنعام الآية 153.
[54] سنن الدارمي ومسند أحمد وصحيح ابن حبان.

وهذا رسم توضيحي لما ورد بالأحاديث الشريفة، ولدائرة الصعود العشقي:

بيان لمراحل الوصول إلى الله عز وجل

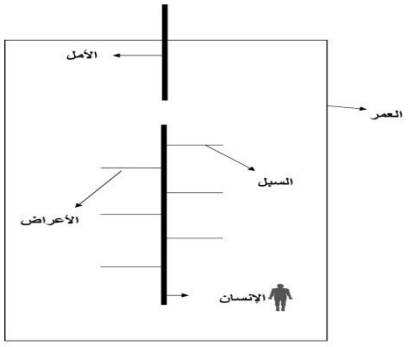

بيان نبوي لحال الإنسان الدنيوي

إذاً ما هو المقصود من هذا المثال النبوي وما علاقته بالعشق الإلهي[55] ؟

إن الطريق إلى الله تعالى طويل بغير مسافة مكانية ولا زمانية، إذْ إننا في الحقيقة نسعى، ونفر إلى من هو معنا في كل مكان وزمان.

ولا شك أن مجرد الإيمان بوجود الله لا يعني الاعتقاد بعظمته في قلب من آمن بوجوده، كما لا يتساوى من يخاف الله أمام الناس بمن يخافه في غيابهم.

وكذلك لا يتساوى العابد لله طاعة من أجل جنته ومغفرته. مع العابد لله طاعة يُريدُ بها وجهه سبحانه ومحبته.

[55] أكرر دائماً المقصود بالعشق: الحب الشديد.

المراد قوله: أن الطريق إلى الله تبارك وتعالى (أي: الفرار إليه) هو مرحلة مُتقدمة يعيشها بعض المؤمنين. فالإسلام من حيث أوامره ونواهيه وأحكامه (أي: الاتباع المحمدي) هو الموصل لبوابة الطريق إلى الله عز وجل، وبغيره لا يصل أحد إلى تلك البوابة، كما لا يصل أحد إلى الشفاعة الإلهية قبل أن يَشْفَع للكل حضرة المصطفىﷺ دون شك.

ومن العباد من يكتفي بالوصول إلى بوابة الطريق فقط، وهؤلاء عباد مكرمون التزموا الشرع الشريف، ولكن منتهى أملهم كان الطمع في مغفرة الله ورحمته سبحانه وتعالى ومن ثم الفوز في النهاية بجنته. بينما هناك عباد منتهى أملهم محبة الله ووجهه الكريم، وهؤلاء هم من وصلوا بمركب الشرع إلى بوابة الطريق إلى الله عز وجل.

وطريق الله عز وجل طريق واحد مستقيم وله ميمنة ووسط وميسرة، فأما أهل الميمنة فهم السالكون إليه بطريق الأدب (جلال الجمال) وأما أهل الميسرة فهم السالكون إليه بطريق الحب (جمال الجمال) وأما أهل الوسط فهم السالكون إليه بطريق العشق (أي: الجمال والجلال وهؤلاء أهل الكمال).

هذا هو الأمر ببساطة، وقد نبه حضرة المصطفىﷺ أصحابه إلى ذلك الطريق بمثالين غاية في البساطة والدقة.

فنبههم أن المؤمن تعترضه العوارض لتمنعه من سلوك طريق الله، الذي هو مبني على أملٍ واحد هو محبة الله، وغرض واحد هو وجه الله. فتناديه الفتن والهموم والشياطين لتمنعه عن الوصول إلى بوابة طريق الله، بل تمنعه أصلاً عن درجة الإيمان فيصيريعبد الله بغير قلب، ومن ثم يترك درجة الإسلام أيضاً فيترك العبادة ولاحول ولا قوة إلاّ بالله، ويساعدهم على ذلك آماله العريضة مع عُمرٍ لا يسعفه لها!.

هذا هو باختصار شديد الفرق بين المؤمن الذي منتهى أمله المغفرة ودخول الجنة، وتلك هي غايته من عبادته لربه[56]، وبين المؤمن الذي منتهى أمله حب الله لا يريد إلاّ وجه الله وتلك هي غايته من عبادته لربه.

ولا شك أنه لم يصل إلى تلك المرحلة إلاَّ بعد مروره بالمرحلة الأولى، إلاّ أنه استكمل طريقه ولم يقف.

---

[56] أستغفر الله العظيم من قسوة كلامي، ولكن هكذا تبدو الحقيقة قاسية.

إن الحب يجعل الآمال أملاً واحداً، هو حب الله، ويجمل الأغراض في غرضٍ واحدٍ، هو المحبوب الأعظم.

إن الحب يستثمر للعبد ما تبقى من عمره في بنك البقاء، ويَعُده عَدّاً إلى الحبيب واللقاء.

ولله در القائل: أو لو لم تكن جنة ولا نار ألا يستحق أن يعبد.

تقول رابعة العدوية: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فأدخلني فيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها، إنما أعبدك لأنك تستحق أن تعبد.

قال علي بن الموفق كما جاء في الإحياء: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة، فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة، وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل..

ورأيت رجلا قائماً على باب الجنة يتصفح وجه الناس فيدخل بعضاً ويرد بعضاً ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس، فرأيت في سرادق العرش رجلاً قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف، فقلت لرضوان: من هذا؟

فقال: معروف الكرخي. عبد الله، لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته، بل حباً له ، فأباحه النظر إليه يوم القيامة.

وعوداً إلى الطريق والسالكون الثلاثة أقول:

إن الطريق إلى الله يشبه تماماً الطريق إلى بوابته، من حيث وجود تشعبات وتخطفات. بل إن تشعبات هذا الطريق أكثر بكثير من الأول تصديقاً لقول النبيﷺ حينما سئل، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: (**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ**) [57].

ولهذا فإن أهل الميمنة المؤدبين (السالكون طريق الجلال) وأهل الميسرة المحبين (السالكون طريق الجمال) يكونون على خطر عظيم حيث إن العوائق تتخطف من على جانبي الطريق.

بينما العاشقون (السالكون طريق الكمال) نادراً ما يصيبهم الخطر، إذْ إنهم إذا ما جاءهم الخطر من جهة الميسرة (الجمال) مالوا جهة الميمنة (الجلال)، وإذا جاءهم الخطر من جهة الميمنة (الجلال) مالوا جهة الميسرة (الجمال).

[57] سنن الترمذي وابن ماجة وصحيح ابن حبان ومسند أحمد.

يقول جلال الرومي: **(إننا نسأل الله التوفيق إلى الأدب، فمن لا أدب عنده صار محروماً من لطف الربّ).**

إذاً: فمن جمع بين (الحب والأدب) سريعاً ما يدخل دائرة الفناء، والتي هي بوابة طريق البقاء الذي هو: (العشق الأبدي).

فالحب يسوق إلى الأنا الإلهية، والأدب يسوق إلى زوال الأنا الإنسانية. ومن هنا يتضح أهمية الحب في حياة السالك إلى مولاه.

خليلي،.. إن الحب فيه لذاذة وفيــه شقـاء دائـم وقـريب

على ذاك ما عيش يطيب بغيره ولا عيش إلا بالحبيب يطيب

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ولا في نعيم ليس فيه حبيب

****

هل يجوز وصف العشق على الله تعالى وعلى المحبين له؟

يقول الشيخ ابن تيمية: الناس في العشق على قولين، قيل: إنه من باب الإرادات، وهذا هو المشهور.

وقيل: من باب التصورات، وإنه فساد في التخييل، حيث يتصور المعشوق على غير ما هو به.

قال هؤلاء: ولهذا .. لا يوصف الله بالعشق، ولا أنه يُعشقُ، لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالاً فاسداً.

وأما الأولون فمنهم من قال: يوصف بالعشق، فإنه المحبة التامة، والله يُحِب ويُحَب.

وروي في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: (لا يزال عبدي يتقرب إلي، يعشقني، وأعشقه) وهذا قول بعض الصوفية، والجمهور لا يُطلقون هذا اللفظ في حق الله، لأن "العشق" هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي. والله تعالى محبته لا نهاية لها فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته.

قال هؤلاء: (والعشق) مذموم مطلقاً، لا يمدح في محبة الخالق ولا المخلوق، لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحدود. اهـ

أقول والحق: أن لفظ العشق يعني أيضاً: (المحبة الشديدة)، وقد وصف الله بها عباده المؤمنين فقال: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)[58].

[58] سورة البقرة الآية 165.

فلا مانع من وصف المؤمنين بأنهم عشّاق لله تعالى، وبما أن محبة الله للمؤمنين أكبر وأعظم وأشد، فلا مانع من وصف الله تعالى بالعاشق بشرط أن يكون مفهوم العشق هو الحب الشديد، وأما غير ذلك من الوصف فلا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى.

ونخلص مما مضى أن العشق هو الحب في أعلى درجاته، وأرفع مقاماته، وفيه يُجن المُحب بمحبوبه، فلا يرى سوى محبوبه، وفيه يكون المحبوب هو الأول والآخر والظاهر والباطن،وهو الله عز وجل.

وبهذا يتضح الفرق بين العشق والحب ببساطة شديدة، فالمسلمون محبون لله، ولكن المؤمنين أشد حباً لله،(والمؤمنون أشد حباً لله)، ولكن المحسنين عاشقون لله،(والمحسنون عاشقون لله)،ولكن الأولياء أشد عشقاً لله، وهكذا الأمر حتى ننتهي بالعشق عند أعظم الأحبة وأجل المحبوبين وهو حضرة النبي صلى الله عليه وسلم القائل: **(أنا حبيب الله ولا فخر)**[59].ولا شك أن محبة العالم كله لله تعالى مجتمعة لا تعدل ساعة من محبة نبينا الأكرم لله عزوجل، فهو سيد الأحبة بلا منازع لا من النبيين ولا من الملائكة، وكيف لا وكل حب وإن علا فمخلوق، بينما يقول لنا الحبيب المصطفى في كتاب الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[60].

---

[59] سنن الترمذي.

[60] سورة آل عمران الآية 31.

فيا له من فرق عظيم بين حب المخلوق للخالق وبين حب الخالق للمخلوق، ولن يفوز أي إنسان بتلك المحبة الإلهية إلاَّ باتباعه للرسول، الذي بين مبادئها في أحاديث كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم:(**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ،...**) [61]

وقد بينها لنا المولى عز وجل في أحاديث كثيرة منها: (.. **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ** كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،....)[62].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ لِي فَرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ**) [63].

إذاً فالحب هو الأساس في الدين وهو الغاية وهو العلة، وكلما ازداد العبد حباً، ازداد قرباً، وفي كل درجة يرقاها المحب يتخذ الحب

---

[61] صحيح البخاري.
[62] صحيح البخاري.
[63] سنن الترمذي

فيها اسماً آخر حتى يصل إلى أعلاه حيث ليس للحب منتهى، وهناك يسمى عشقاً ويسمى المحب عاشقاً.

((العشق تذوق، لا يعرفه إلاّ ذائقه، ولا ينكره إلاّ فاقده)).

يقول الإمام الجنيد:

(العشق ألفة رحمانية، أوجبها الله تعالى على كل ذي روح، ليحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على منالها إلاّ بتلك الأُلفة، وهي موجودة في النفس مقدرة مراتبها عند أربابها).

ويقول الخواص:

(العشق. انجذاب القلوب إلى مغناطيس الحسن، وكيفية هذا الانجذاب لا مطمع في الاطلاع على حقيقتها، وإنما يُعبر عنها بعبارات تزيدها خفاء، وهو كالحُسن في أنه أمر يُدرك، ولا يمكن التعبير عنه، وكالوزن في الشعر).

وما أحسن قول بعض الحكماء: **(من وصف الحب ما عرفه)**.

رؤي أبو السائب المخزومي[64]، متعلقاً بأستار الكعبة بعدما توفي فَسُمع يقول: (اللهم ارحم العاشقين، وعطف عليهم قلوب المعشوقين).

فقيل له: يا أبا السائب أتقول ذلك وأنت من أنت؟!

فقال: والله لدعائي لهم أفضل عندي من عمرة[65].

وفي الصفحات التالية سيتعرف المحب كيف وضع شمس الدين التبريزي أربعين قاعدة لبلوغ مقام العشق، ولكل شيخ طريقة في إيصال أحبته لذلك المقام الشريف. **والحق أنه لن ينتفع أحد بشيء لا يوقن بصحته.**

إذا أنت لم تعشق ، ولم تدر ما الهوى فما لك في طيب الحياة نصيب

يقول جلال الرومي: (**النُّصح غير ذي جدوى للعاشقين. فإن العشق نهرٌ لا تقوى السدود جميعها على تغيير مساره**).

((**إن حب الله هو أساس كل شيء، وهو سر الحياة، وسبب البقاء الأبدي**)).

****

[64] (أحد القراء الزهاد، كان يصلي ألف ركعة كل يوم).

[65] أفضل من عمرة من حيث العائد ، حيث إن عائد العمرة يرجع للمعتمر وحده، أما الدعاء فيرجع نفعه للداعي وللمدعو لهم، وليس المقصد أن الدعاء أفضل من العمرة مطلقاً.

بلغت في العشق مرمى ليس يدركه إلاّ خليع صباً مثلي إلى العدم

كتمتُ حالي ويأبى كَتمَه شجني بحكمي الفاضحين، الدمع والسقمِ

قالوا ارعوي قلت قلبي ما يطاوعني قالوا انثني قلتُ عهدي غير منفصم

قالوا سلوت فقلتُ الصبرُ في كلفي قالوا يئست فقلت البرءُ في سقمي

يا عاذلي أنت معذور فسوف ترى غداً بدا الصبح، ما غطى غشا الظلم

أبرمت عذلاً ويُخشى أن تُجربهُ إلى السّلوِّ وما السلوان من شيمي [66].

بداية تلقين شمس التبريزي قواعد العشق لجلال الدين

[66] ديوان عائشة الباعونية.

لا تكن بلا حب كي لا تشعر بأنك ميت. مت في الحب وابق حياً للأبد.

...الرومي

لقد بحث شمس التبريزي عن الله تعالى في كل مكان فسافر شرقاً وغرباً، وبحراً وبراً، ملتمساً معلومة عرفانية جديدة، أو شهوداً يأخذ بمجامع قلبه إلى مولاه، فكان يستمع للشيوخ والقساوسة والرهبان، وينصت إلى الطيور وهدير الماء، كان هائماً بقلبه، راحلاً في وحدة دائمة، وخلال تلك الرحلة التي امتدت إلى خمسين عاماً، ألف قواعد العشق، لا عن علم فقط، بل عن علم وتجربة، وعمر أفناه في جمعها.

وبعد جمعها صار شغله الشاغل تطبيق تلك القواعد فعلياً على غيره، ولم يكن هدف شمس مجرد إنسان يعمل به ويصير عاشقاً لله عز وجل، بل كان هدف شمس نشر العشق بين الناس جميعاً، فهو عنده الأصل ولا حل سواه لكي يعود الناس إلى مولاهم تبارك وتعالى، لقد كان يرى أن الأمل الوحيد في العشق.

ولكن كيف ينشر ذلك العشق بين الناس وليس له صوتٌ مسموعٌ ولا قبولٌ شعبيٌ، بل كان يفر من الناس فرار الناس من الأسد.

إذاً فلا سبيل إلاّ لشخص يحمل تلك الأمانة وينشرها بين الناس، ولا بد لهذا الشخص من شروط كثيرة منها:

أن يكون صادقاً صالحاً تقياً عالماً ذا قبول ونفوذ وأتباع، .....إلخ.

إلاّ أن أهم تلك الشروط هي أن يتحمل شمس وينجح في كل اختباراته.

يقول شمس التبريزي في مقالاته: (كل من أُحبه أستعمل معه القهر أولاً. وهكذا أستعمل الجفاء مع الشخص الذي أحبه).

ويقول أيضاً:(كل من أُحبه أُقدم له الجفاء، فإن قبل ذلك كنت له).

لقد جاب شمسٌ الأرض كذي القرنين فلم يجد من يتحمله أو يكن أهلاً لحمل تلك الأمانة العظيمة ، وأخيراً دعا الله أن يرشده إلى ذلك الرجل، وبالفعل دله الله عليه، فكان ذلك الرجل هو جلال الدين.

وقد نجح جلال الدين في جميع اختبارات شمس كما مر ذكره، بل وكان مغرماً بشمس مطيعاً له، وكان أهلاً لحمل الأمانة التي مازال صداها يتردد إلى يومنا هذا عن طريق ما دونه جلال الدين من أشعار

ومكتوبات في العشق الإلهي، ولا زالت الطريقة المولوية تنشر أفكار شيخها ومؤسسها، مولانا جلال الدين الرومي في شتى بقاع الأرض.

أسأل الله أن يوفقني لشرح تلك القواعد على نحو بسيط، لا يخل بالمعنى، ولا يمل منه القارئ.

فالعاشق إنما يبحث عن الكلمة التى تجذبه إلى مولاه وليس سواها.

يقول شمس التبريذي:

(يجب قراءة كل قاعدة في إطار القواعد كلها).

****

شرح
قواعد العشق الأربعين

تولَّع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجَّـة ظنهـا مـوجـة فلمـا تمكَّن منهـا غـرق

(من بين كل الطرق إلى الله اخترت العشق)

جلال الرومي

القاعدة الأولى

(الطريقة التي نرى فيها الله)

((إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا انعكاس للطريقة التي نرى فيها أنفسنا، فإن لم يكن الله يجلب إلى عقولنا سوى الخوف والملامة، فهذا يعني أن

قدراً كبيراً من الخوف والملامة يتدفق في نفوسنا، أما إذ رأينا الله مفعماً بالمحبة والرحمة فإننا نكون كذلك).

التأصيل

قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)[67].

وفي رواية: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ)[68].

الشرح

يقول شمس شارحاً: (لا تحكم على الطريقة التي يتواصل بها الناس مع الله، فلكل امرئ طريقته وصلاته الخاصة. إن الله لا يأخذنا بكلماتنا، بل ينظر في أعماق قلوبنا.

وليست المناسك أو الطقوس هي التي تجعلنا مؤمنين، بل إن كانت قلوبنا صافية أم لا).

ويقول جلال الرومي:(وبرغم أن الطريق مختلفة يظل القصد واحداً، ألا تري أن ثمة طرقاً كثيرة إلى الكعبة؟).

---

[67] صحيح البخاري ومسلم.

[68] مسند أحمد وصحيح ابن حبان ومسند الدارمي ومستدرك الحاكم.

يقول شمس التبريزي حاكياً لبعض التلاميذ: كان هناك أربعة تجار يصلون في مسجد عندما رأوا المؤذن يدخل. فأوقف التاجر الأول صلاته وسأل: (أيها المؤذن! هل ننهي الصلاة؟ أم لا يزال يوجد وقت؟) فتوقف التاجر الثاني عن الصلاة وقال للتاجر الأول:(لقد تكلمت وأنت تصلي. وبطلت صلاتك، ويجب أن تبدأ من جديد).

فتدخل التاجر الثالث قائلاً للتاجر الثاني: (لماذا تلومه؟ ركز في صلاتك أنت. فقد بطلت صلاتك أيضاً).

وأما التاجر الرابع فابتسم وقال بصوت منخفض: (لقد أخطأوا جميعاً، أما أنا فأحمد الله أنني لم أضل مثلهم).

وبعد أن حكى تلك القصة سأل التلاميذ: (برأيكم صلاة أي من هؤلاء التجار غير جائزة؟).

فقال أحدهم: الثلاثة دون الأول. وقال أحدهم: الثلاثة دون الأخير.

ثم التفت شمس لتلميذ كان صامتاً وقال له: وأنت ما رأيك؟

فقال: لو ارتكب هؤلاء التجار خطأً، فليس فقط لأنهم تكلموا أثناء الصلاة، بل لأنهم يبدون اهتماماً بما يجري حولهم بدلاً من الاستغراق في الصلاة والاتصال بالله. لكن إذا كان علينا أن نطلق عليهم حكماً، فإني أخشى أننا سنرتكب الخطأ نفسه.

ثم سُئل شمس عن جوابه فقال: (إن التجار الأربعة جميعاً أخطأوا لسبب متشابه، لكن مع ذلك لا يحق لنا أن نطلق أحكاماً عليهم).

يشير شمس في هذه القاعدة إلى ما يجب على المحب من حسن ظنه بمحبوبه الذي هو الله تبارك وتعالى. فمن أساء الظن بمحبوبه فليس بمحبوبه حقاً. وتوابع حسن الظن بالله وهو حسن الظن بالناس.

ويوضح شمس جزاء حسن الظن بالله بأن المحب سينال من صفات محبوبه حظاً؛ فلو رأى الله رحيماً فسيصير رحيماً، وإذا رآه ودوداً فسيصير ودوداً، وهكذا، وهي صفات الجمال التي عليه التخلق بها.

ولذا فمن الأهمية بمكان عند مروره على صفات الجلال أن يجعلها مقرونة بأسماء الجمال، فمثلاً: (المنتقم يقابله العفو)، و(القابض يقابله الباسط)، و(المميت يقابله المحيي)....إلخ.

وهذا لأن المحب إن لم يرَ من حبيبه سوى صفات الجلال، غلب عليه الخوف، الذي إذْ لم يقرن بالرجاء أو المحبة عند الإنسان تحول إلى يأس وقنوط، وانتقلت تلك الصفات الجلالية إلى المحب ومن ثم تخرجه عن المحبة بالكلية، ويصير ذو بأس شديد لا يتخلله الرحمة ولا الشفقة، وقد خلقه الله في الأصل لعبادته ومحبته.

والسالكون إلى الله تعالى ثلاثةٌ: سالكون بطريق الجمال فقط وهم المحبون، وسالكون بطريق الجلال فقط وهم الشرعيون، وسالكون بطريق الجلال والجمال معاً وهم العاشقون. والعشاق هم الذين يبلغون مراتب الكمال، دون غيرهم. وعلامةُ تحقق القلب بهذه القاعدة أمران: الأول: حسن الظن بالله، فتجد القلب راضياً مستسلماً واثقاً لا يظن إلاّ خيراً فيما جرت به المقادير. والثاني: حسن ظنه بالناس، فتجده سليماً تجاههم لا يحمل لهم إلاّ خيراً، ملتمساً لهم الأعذار، لا يحسدهم، حيث يرى كل فضل بهم من الله، وهذا هو قلب المحب لمولاه.

يقول ابن عطاء الله: (إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، فَحَسِّن ظنَّك به لأجل معاملته معك. فهل عودك إلاّ حَسَناً؟ وهل أسدى إليك إلا مناً).

وإليك قلباً من هؤلاء الرجال الذين تحققوا بهذا القلب السليم: عن أَنَس بن مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالَتِهِ الأُولَى،

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُئْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلاثِ اللَّيَالِي، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عز وجل، وَكَبَّرَ حَتَّى تَقُومَ صَلاةُ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاثَ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ الْمَرَّاتِ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: **مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ عز وجل إِيَّاهُ**، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: **هَذِهِ الَّذِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ)**[69].

[69] مسند أحمد وسنن النسائي.

إن الطريقة التي نرى بها الله عز وجل أو التي نرى بها عباده تعود في النهاية إلى ما استقر في بواطننا من خير أو شر، وإلى حسن الظن أو سوء الظن، ولذا فعلى الإنسان أن يفتش بداخله عما يحمله.

يقول شمس: (كان رجلان يسافران من بلدة إلى أخرى ووصلاً إلى جدول ماء فاض من الأمطار الغزيرة. وعندما أوشكا على عبور الجدول، لاحظا امرأة شابة جميلة تقف وحيدة، تحتاج إلى مساعدة. وعلى الفور توجه إليها أحد الرجلين، وحملها بين ذراعيه، واجتاز بها الجدول، ثم وضعها على الضفة الأخرى، ولوح لها مودعاً، ثم تابع الرجلان رحلتهما.

وخلال ما تبقى من الرحلة، لبث المسافر الثاني صامتاً وعابساً، لا بمقدوره البقاء صامتاً،

فقال: (لماذا لمست تلك المرأة كان من الممكن أن تغويك! إذ يحرم علي الرجل ملامسة امرأة هكذا).

فرد الرجل الأول بهدوء: (يا صديقي، لقد حملت تلك المرأة ووضعتها عل ضفة الجدول الأخرى وتركتها هناك، أما أنت فلا تزال تحملها منذ ذلك الحين).

يقول جلال الدين الرومي: (العشق لا يمكن أن يكتسب أو يلقن).

****

القاعدة الثانية

(الطريق إلى الحقيقة)

((إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب لا من الرأس فاجعل قلبك لا عقلك دليلك الرئيسي. واجه، تحدّ، وتغلب في نهاية المطاف على النفس بقلبك؛ لأن معرفتك بنفسك ستقودك إلى معرفة الله)).

التأصيل

قال رسول اللهﷺ: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)[70].

[70] صحيح البخاري ومسلم.

الشرح

سأل شمسُ التبريزي جلالَ الدين في خلوتهما: عمَّ تبحث؟ عن منزلةٍ ومنصبٍ عالٍ، أم عن إدراك الحقيقة؟

فقال جلال الدين: عن علة خلق الكائنات والناس! ليس من طريق العلم بل.....

قطع شمس كلام جلال الدين وسأله: هل قرأت حديث (كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف)[71]. على سبيل الإخلاص؟

قال جلال الدين:نعم قرأتُ، ولكنني إلى الآن لم أظفر من شجرة المعرفة بثمرة، لعلني أكون في منعطف أول حيٍّ من أحياء معرفة النفس.

فقال له شمس: أتعرفُ ثمرة المعرفة ما هي؟

يسكت الرومي ولا يُجيب.

---

[71] تنزيه الشريعة. قال الزَّرْكَشِيُّ وَالسَّخَاوِيُّ: لا أَصْلَ لَهُ. ولذا استدرك شمس على الحديث قائلاً: على سبيل الإخلاص.

فيقول له شمس: دعني أُبين لك؛ لأن لديك تعلقاً وإصراراً وأملاً بلقاء الحقيقة.... إن معرفة الحق وتجلي الحق يتيسران بمدد العشق.

والحكمة في خلق العالم وآدم أساسها العشق.

العشق في عقيدة العارفين مثلُ الروح من عالم الأمر؛ وبين الروح والعشق فيما أرى ارتباط معنويّ وملكوتي...

العشق هو الذي يربط بين التراب والأفلاك، بين اللاهوت والناسوت.

يسكت شمس ثم يسأل جلالَ الدين أتعرف شهاب الدين السهروردي؟

مع أن عقله كان أقل من علمه كان يعتقد في مجال الاتصال بين العشق والمعرفة، متأثراً بأقوال سُقراط في رسالة (المأدُبة) وشيء من آثار أفلاطون أنه (عندما تبلغُ المحبةُ الغايةَ تُسمى العشق. والعشقُ أخص من المحبة، لأن كلَّ عشقٍ محبةٌ، وليس كل محبةٍ عشقاً.

فالدرجة الأولى هي: المعرفةُ، والدرجة الثانية هي: المحبةُ، والدرجة الثالثةُ هي: العشقُ، ولا يمكن الوصول إلى عالم العشق الذي هو فوق الجميع إلاّ بعد اجتياز درجتي المعرفة والمحبة).

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أمرين، الأول: أن طريق العشق طريق القلوب وليس طريق العقول، فكما ورد بالحديث: (**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً** إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، **أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**)، إذاً فالتعويل على القلب وليس على العقل في ذلك الطريق العشقي، فالقلب هو محل التعرف الإلهي، ومركز التجليات ومصب النفحات، وطريق العشق الإلهي مملوء بالعقبات الكئود والمحن. يقول ابن عطاء الله: (ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كُشِفَ لها إلا ونادته هواتف الحقيقة، ولا تبرجت ظواهر المكنونات إلا ونادته حقائقها: الذي تطلب أمامك (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ).

ولذا فعلى طالب الحب والعشق البحث عن رجال الله، خبراء القلوب، حتى يرشدوه، وينيروا له طريق القلب، فتتجلى له الحقائق الإلهية، ويبصر الحقيقة، ويطلع على سر العشق الذي طالما حير الباحثين عنه، إذْ إنه لا يُعرف إلاّ بالتذوق لا بالعلم، ولا بالعرفان.

يقول شمس التبريزي: **(إن الذين يبحثون عنه(الله) هم فقط الذين يستطيعون إيجاده)**

ويقول جلال الدين الرومي: **(العشاق حين يفنون في طريق العرفان يلاقون سلطان الأرواح، العشاق يموتون، وعيون أرواحهم مفتوحة تلتمس رؤية المعشوق الإلهي)**.

****

القاعدة الثالثة

(معرفة الله)

((إنه يمكنك أن تدرس الله من خلال كل شيء وكل شخص في هذا الكون [72]، لأن وجود الله لا ينحصر في المسجد أو في الكنيسة، لكنك إذا كنت لا تزال تريد أن تعرف أين يقع عرشه بالتحديد يوجد مكان واحد فقط تستطيع أن تبحث عنه وهو قلب عاشق حقيقي، فلم يعش أحد بعد رؤيته، ولم يمت أحد بعد رؤيته. فمن يجده يبقي معه إلى الأبد!))

[72] المقصود بدراسة الله تبارك وتعالى (العلم به والتعرف عليه).

التأصيل

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [73].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة لها ثلاثة محاور، المحور الأول هو: عبادة التفكر، والنظر في الكون لمعرفة الله أكثر فأكثر، وأن معرفته سبحانه ليست مقصورة على دور العبادة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[74]. **وقال تعالى:** ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [75].

إذْ إنه لو كان إيجاد الله تعالى محصوراً على دور العبادة وحدها، لكان محجوباً عن غيرها. يقول ابن عطاء الله: (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء!).

---

[73] سورة فصلت الآية 53.
[74] سورة الجاثية الآية 13.
[75] سورة فصلت الآية 53.

وأما المحور الثاني: فيشير فيه إلى عرش الله تبارك وتعالى، ولا شك أن عرش الرحمن هو سقف الجنة كما ورد عن النبيﷺ: (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ؟، فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ **وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**). وذلك هو العرش المادي الوجودي. أما العرش الذي يقصده شمس فهو العرش الروحاني الوجداني، الذي محله قلب المؤمن العاشق لمولاه تبارك وتعالى[76].

وأما المحور الثالث: فيشير شمس إلى الأولياء الذين رأوا الله في تجلياته بطريق الشهود[77]، فمن أيقن بوجود الله عز وجل ماتت نفسه عن الكفر والجحود، ومن أيقن بوجود الله تبارك وتعالى أحياه الله حياة الإيمان قال تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ)[78].

يقول الحلاج: (**الناس موتى وأهل الحب أحياء**).

---

[76] إشارة منه إلى الأثر الوارد فيه (مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ). انظر: إحياء علوم الدين. وليس له أصل عند علماء الحديث.

[77] ولا تظن أن الشهود هو رؤية ذاته سبحانه؛ فذلك خطأ، فرؤية ذاته ممنوعة خبراً نظراً، ولكنه شهودٌ لآثار أفعاله وتجليات صفاته في الوجود.
واليك مثال لهذا الشهود حتي لا تقع في أهل الحبيب الودود: (ورد أن بحارة ركبوا البحر وركب معهم وليٌّ من أولياء الله ، فهاج بهم البحر واستنفذوا كل حيلة لديهم حتى كاد أن يدركهم الغرق، فقالوا لولي الله صارخين ادعوا الله أن ينجينا مما نحن فيه. فما كان من الولي إلا أن قال: (اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك) فما هي الا لحظات وهدأ البحر ونجو جميعاً. فذلك هو الشهود المذكور.

[78] سورة الأعراف الآية 122.

والحقيقة أنه لا يجد الله إلاّ من أتعب نفسه في البحث عنه سبحانه، ورد في الأثر القدسي: **(ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني)**.

يقول جلال الدين الرومي: **(أينما كان النور فانا الشغوف به..وأينما كانت الزهرة فانا الفراشة، وأينما كان الجمال فانا العشاق. وأينما كانت الحكمة فهي ضالتي)**.

****

القاعدة الرابعة

(الفكر والحب)

((يتكون الفكر والحب من مواد مختلفة، فالفكر يربط البشر في عُقد، لكن الحب" يذيب جميع العقد، إن الفكر حذر على الدوام وهو يقول ناصحاً: (احذر الكثير من النشوة)، بينما الحب يقول: (لا تكترث! أقْدم على هذه المجازفة). وفي حين أن الفكر لا يمكن أن يتلاشى بسهولة فإن الحب يتهدم بسهولة ويصبح ركاماً من تلقاء نفسه، لكن الكنوز تتوارى بين الأنقاض والقلب الكبير يخبئ كنوزاً)).

التأصيل

قال تعالى:(إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ)[79].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى الفرق الكبير بين طريق الفكر: (العلم المرتبط بالعقل) وبين طريق الحب: (المحبة المرتبطة بالقلب).

فيوضح لنا أن الفكر يربط البشر؛ لكونه يعتمد على العقل والدليل والمنطق، والعقل في حقيقته محجوب عن إدراك الحقيقة، وعاجز عن معرفة الحب والعشق، فالعقل من العقال، والعقل لا يقبل المجازفة، بينما القلب لا يبالي بالمهالك في سبيل محبوبه.

يقول الرومي: (عندما يُضاء القلب بالعشق لا تكون الحاجة إلى الاستدلال أمراً لائقاً).

وقد تبين لنا من آية التأصيل أن الفكر مذموم[80]، إذْ إنه يعتمد على العقل وحده، بخلاف الحب الذي محله القلب، والقلب السليم هو القلب المحب الذي لا يعرف سوى مولاه وخالقه وحبيبه.

---

[79] سورة المدثر، الآيات: 18و19و20و21و22و23.

[80] هناك فرق بين الفكر والتفكر. وببساطة شديدة : التفكر هو: ربط الفكرة بالله خالق كل شيء، بينما الفكر هو: خلو الفكرة من الله.

يقول رسول اللهﷺ: **(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)**[81].

إن محبة الله تعالى هي المطلوبة وهي الغاية وهي الأساس، وهذا الشرح المختصر للمحبين وطالبي المحبة الإلهية فقط، وليس لغيرهم.

ولا شك أن المحبة درجاتٌ تنتهي عند أول درجات العشق، والعشق درجات تنتهي بالفناء في المحبوب، والفناء درجات تنتهي بالبقاء بالمحبوب، والبقاء درجات لا تنتهي لكون الباقي لا متناهي.

وفي المحبة يُمتحن المحب ويخوض فتناً عظيمة، يتبين منها صدق محبته من كذبها، وفي فاجعة الحلاج خير مثال على ذلك.

روى العلامة المناوي عن أحد الصالحين أنه قال: خرجت في ليلة مقمرة لزيارة قبر أحمد بن حنبل .. فرأيت رجلاً قاعداً (الحسين بن منصور الحلاج)، فدنوت منه بغير علمه... فإذا هو يبكي ويقول: يا من أسكرني بحبه، وحيرني في ميادين قربه، أنت المتفرد بالقدم. قيامك بالعدل لا بالاعتدال، وبعدك بالعز لا بالاعتزال، وحضورك بالعلم لا بالانتقال، وغيبُك بالاحتجاب لا بالارتحال، فلا شيء فوقك فيظلك، ولا شيء تحتك فيقلك، ولا أمامك شيء فيحدُّك، ولا وراءك شيء فيدركك.

[81] صحيح البخاري.

أسألك بحق هذه القربة المقبولة، والمراتب المسئولة، ألاّ تردني إليَّ بعدما اختطفتني مني... ولا تُرني نفسي بعدما حجبتها عني، وأكثر أعدائي في بلادك، والقائمين لقتلي من عبادك.

وقد رؤيَ في المنام بعد محنة قتله فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: أنزلني وأكرمني، وغفر لكلتا الطائفتين... المشفقين عليَّ، والمعادين لي..

فأما من أشفق عليَّ فلأنه عرفني. فأشفق الله عليه.. وأما من عاداني فلأنه لم يعرفني. فعاداني لله أيضاً.. فهو معذور.

وقد رأته أُخته في المنام. فقال لها: **لما قطعوا يديّ ورجليّ كان قلبي مشغولاً بالمحبة، ولما صلبوني كنت في شهودي فلم أدرِ ما فعلوا بي.**

فلما أحرقوني نزلت عليّ ملائكة ربي من السماء صباح الوجوه فأخذوني إلى تحت العرش.. وإذا بالنداء من العليّ الأعلى: يا حسين رحم الله من عرف قدره وكتم سره وحفظ أمره.

فقلت: أردت التعجيل إلى رؤيتك.

فقال: تملى بالنظر. فإني لا أحتجب عنك.

يقول جلال الدين الرومي: **(قلتُ: أشتهي وصلك. قال: ثمن الوصال ما هو إلا روحك. فهتف قلبي: ربح البيع إذن!)**.

****

القاعدة الخامسة

(سوء الفهم . ودائرة الحب)

((تنبع معظم مشاكل العالم من أخطاء لغوية ومن سوء فهم بسيط، لا تأخذ الكلمات بمعناها الظاهري مطلقاً وعندما تلج دائرة الحب، تكون اللغة التي نعرفها قد عفي عليها الزمن، فالشيء الذي لا يمكن التعبير عنه بكلمات لا يمكن إدراكه إلا بالصمت)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[82].

الشرح

يشير شمس التبريزي في هذه القاعدة إلى أمرين: الأول سوء الفهم النابع من سوء الظن، والذي هو في قاعدته سبب لمعظم مشاكل العالم، وهو محق وهو مدخل من المداخل الشيطانية الأكيدة للنفوس البشرية.

---

[82] **سورة الحجرات، الآية: 12.**

ولا شك أن محل سوء الفهم هو العقل، **يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**: (مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِشَرِّ مَا يَسْمَعُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا، فَقَالَ: يَا رَاعِي، أَجْزِرْنِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ)[83].

هكذا هو العقل الخالي قلب صاحبه من مشاعر الحب والتعقل، يقول تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ)[84].

حكاية عن سوء الظن وحسن الظن:

قرأ شخصان قولَ الشيخ أبي الحسن الشاذلي: (يصل الولي إلى رتبة يزول عنه فيها كُلفة التكليف).

فأما الأول: فكان سيء الظن وكان كارهاً للتصوف ورجاله، فلما قرأها فكأنه وقع على كنز، حتى قال: انظروا إلى هذا الضال المضل كيف يدعو إلى التحلل من أحكام الشريعة، ويدعو إلى الكفر.

---

[83] سنن ابن ماجة ومسند أحمد وسنن أبي داود.
[84] سورة الأعراف الآية 179.

وأما الثاني: فكان طالباً للحق والحقيقة والقرب من الله، وكان حَسَنَ الظن بعامة المسلمين وخاصتهم، فبحث عن شيخ من مشايخ الطريق العارفين بالله، وسأله عن هذه المقولة، فقال له: معناها أن الولي يجد في البداية المشقة في القيام بالتكاليف والصبر عليها، فإذا كمل حاله ووصل إلى المرتبة العليا وجد في التكاليف الراحة والطرب، وتعلق قلبه بها. (أي: زالت مشقة التكليف وصارت عنده نعمة وتشريف).

أما الأمر الثاني الذي يشير إليه شمس في هذه القاعدة: أن من وصل إلى دائرة الحب لا يعرف سوء الفهم ولا سوء الظن، وذلك لخروجه من دائرة العقل وبلوغه دائرة القلب، ودائرة الأسماء الحسنى ومنازل القربى،أي: أنه صار في كوكب الحب المؤدي إلى فلك العشق الأبدي.

إن الحب والعشق لا يعرفان بالكلام ولا بالوصف، فمن ذاق عرف.

وكيف يعبر عن حقيقة الحب وهو صفة إلهية، يقول تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)[85].

يقول الرومي: (العشق صامت تماماً. ولا يوجد كلمات يمكنها وصفه).

****

[85] سورة المائدة، الآية: 54.

القاعدة السادسة

(الوحدة، والخلوة)

((الوحدة والخلوة شيئان مختلفان، فعندما تكون وحيداً من السهل أن تخدع نفسك ويُخيّل إليك أنك تسير على الطريق القويم. أما الخلوة فهي أفضل لنا لأنها تعني أن تكون وحدك من دون أن تشعر بأنك وحيد، لكن في نهاية الأمر من الأفضل لك أن تبحث عن شخص. شخص يكون بمثابة مرآة لك. تذكر أنك لا تستطيع أن ترى نفسك حقاً إلا في قلب شخص آخر وبوجود الله في داخلك)).

التأصيل

قال تعالى: (وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا) [86].

..... التبتل هو : الانقطاع.

الشرح

يشير شمس التبريزي في هذه القاعدة كعادته إلى أكثر من أمر أو إلى مسألة وعكسها، ليتضح المعنى بسهولة، وهي نظرية الأضداد.

[86] سورة المزمل، الآية: 8.

فيبين شمسٌ الفرق بين الوَحْدَة والخلوة، فكم من وحيد في وَحْدَته (خلوته) مخدوع، وكم من فريد في خلوته (جلوته) مرفوع.

لقد شرع الله تبارك وتعالى الانقطاع إليه كما في آية التأصيل؛ وذلك لمن أراد الوصول إليه ودفع في ذلك مهجته ثمناً لذلك من أول خطوة. وهو يبدأ من ثلاثة أيام ويصل إلى أربعين يوماً تكرر بحسب رؤية الولي المربي لذلك المريد. وبه بدأ النبيﷺ حياته، حيث كان يعتكف في غار حراء وبعد فتحه ونزول النبوة عليه، اكتفىﷺ بالاعتكاف في العشر الأواخر في مسجده، لكون خلوتهﷺ صارت جلوته، فهو دائماً مع الله والله دائماً معه.

وقد شرع الله للمؤمنين الاعتكاف، وهو نوع من أنواع الانقطاع إليه لمن أراد التقرب إليه، وهو يبدأ في العشر الأواخر من رمضان.

يقول سفيان الثورى حاكياً: دخلت على بنت أم حسان الأسدية وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود، وليس به خفاء ، فقلت لها: يا بنت أم حسان! ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله (أحد الأجواد)؛ فرفعت إليه رقعةً لعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحالة التي أراها بك؟

فدعت بمعجر لها فاعتجرت به (أي لفت به رأسها) فقالت: يا سفيان لقد كان لك في قلبي رجحان كبير فقد ذهب الله برجاحتك من قلبي، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟ وعزته وجلاله إني أستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها.

قال سفيان: وكان إذا جن عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلهي خلا كل حبيب بحبيبه وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار![87].

ثم يشير شمس إلى ضرورة اتخاذ شيخٍ مرشدٍ أو أخٍ خبيرٍ بطريق الله وإلاّ ضاع عمره دون أن يصل لشيء. يقول تعالى: (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا)[88].

أقول: الشيخ كالطبيب الماهر الذي يعرف الداء والدواء، وقل أن ينجو مريضٌ يداوي جسده بغير علم الطب. وكذلك الأمر قل أن يصل سالكٌ إلى الله يداوي نفسه بنفسه.

---

[87] حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، طبعة دار الكتب العلمية 1988م.
[88] سورة الكهف الآية 17.

وأما الأخ الصالح الصادق فهو كما قال شمس: مرآة له ينصحه ويعظه ويحفزه على مواصلة الطريق قال رسول اللهﷺ:(الْمُؤْمِنِ مرآة الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ)[89].

يقول جلال الدين عنه وعن شمس: (نحن عاشقان لمحمد ، وقلبانا خاليان من الشرك والرياء والتظاهر. قلبانا منزلٌ لمحبة الحق ومعرفة الحق).

****

القاعدة السابعة

[89] سنن أبي داود وسنن البيهقي.

(اليأس والحمد)

((مهما حدث في حياتك ومهما بدت الأشياء مزعجة فلا تدخل ربوع اليأس. وحتى لو ظلت جميع الأبواب موصدة. فإن الله سيفتح درباً جديداً لك. احمد الله! من السهل عليك أن تحمد الله عندما يكون كل شيء على ما يرام. فالصوفي لا يحمد الله على ما منحه الله إياه فحسب، بل يحمده أيضاً على كل ما حرمه منه)).

التأصيل

عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ أَنْ نَقُولَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ) [90].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى تنبيهين، الأول: عدم اليأس. إشارة منه إلى قوله تعالى: (وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ)[91].

يقول جلال الرومي: (العاشق لا يعرف اليأس أبداً).

---

[90] سنن الترمذي ومستدرك الحاكم.

[91] سورة يوسف الآية 87.

ثم يصف شمس المخرج من اليأس بتبشير المُبتلى بأن الله سيفتح له باباً جديداً، فخلف كل محنة منحة، مصداقاً لقوله تعالى:(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا)[92].

يقول ابن عطاء الله:(ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك).

ثم يعرج شمس إلى سماء الحمد فينبه على ضرورة الحمد على كل حال، مستسقياً ذلك الحمد من سحائب قول الصحابة رضي الله عنهم عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ، أَنْ نَقُولَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ) [93].

وللحمد أهمية عظمى حتى إن أول سورة بكتاب الله عز وجل بدأت به: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[94]، وقد أثنى الله على الحامدين على كل حال فقال تعالى: (ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ)[95].

أقول: ولن يحمد العبد ربّه على كل حال إلاّ إذا كان يحبه يقيناً.

*القاعدة الثامنة

(ماذا يعني الصبر)

---

[92] **سورة الطلاق الآية 2.**
[93] **سنن الترمذي ومستدرك الحاكم.**
[94] **سورة الفاتحة الآية الثانية بعد البسملة.**
[95] **سورة التوبة الآية 112.**

((لا يعني الصبر أن تتحمل المصاعب سلباً بل يعني أن تكون بعيد النظر بحيث تثق بالنتيجة النهائية التي ستتمخض عن أي عملية.

ماذا يعني الصبر؟ إنه أن تنظر إلى الشوكة وترى الوردة،أن تنظر إلى الليل وترى الفجر، أما نفاد الصبر أن تكون قصير النظر ولا تتمكن من رؤية النتيجة. إن عشاق الله لا ينفد صبرهم مطلقاً لأنهم يعرفون أنه لكي يصبح الهلال بدراً فهو يحتاج إلى وقت)).

التأصيل

قال تعالى: (فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا) [96].

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) [97].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة المباركة إلى حقيقة معنى الصبر، فيوضح أن الصبر على مضضٍ لا يليق بالمحب الصادق، لكون المحب الصادق لا يرى سوى أفعال مولاه فيه وفي الوجود، فمهما أراد

---

[96] سورة المعارج الآية 5.

[97] صحيح البخاري ومسلم.

الله فعله بمحبوبه فعلى المحبوب الرضا والتسليم، بل والتمتع بفعل المحبوب به إن كان من أهل العشق، وليس معنى ذلك ألاّ نحزن إذا أصابنا الله بما يستوجب الحزن، ولكن المراد أن لا نضجر. فقد ورد أنه لَمَّا تُوفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَاحَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَيْسَ هَذَا مِنَّا، لَيْسَ لِصَارِخٍ حَظٌّ، الْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلا نَقُولُ ما يُغضب الربّ)**[98].

والصبر المحمود،أي: (الصبر الجميل) من علامات حب الله للعبد، يقول تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[99].

وليس هذا فحسب، بل إن الله مع الصابر دائماً، يقول تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[100].

إذاً: فالله يحب الصابر الصبر الجميل وهو معه معية خاصة، بل ويبشرهم بقوله: (وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[101].

---

[98] صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم.
[99] سورة آل عمران الآية 146.
[100] سورة البقرة الآية 153.
[101] سورة البقرة الآية 155.

ولذا قالوا: ((**من صبر علينا ..... وصل إلينا**)).

وقيل في ذلك:

فليتك تحلـو والحيـاة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خـــراب

كان سهل التستري–رحمه الله– مُجاب الدعوة، وكان يداوي الناس، ولا يداوي نفسه من الأمراض، فكان إذا عوتب على ذلك قال: (**ضربة الحبيب لا تؤلم**).

ونختم بتلك الكلمة النورانية التي ختم بها شمس والتي سبق بيانها:

(إن عشاق الله لا ينفد صبرهم مطلقاً).

****

القاعدة التاسعة

(المستويات الأربعة لفهم القرآن الكريم)

((إن كل قارئ للقرآن الكريم يفهمه بمستوى مختلف بحسب عمق فهمه وهناك أربع مستويات من البصيرة. يتمثل الأول في المعنى الخارجي وهو المعنى الذي يقتنع به معظم الناس. ثم يأتي المستوى الباطني. وفي المستوى الثالث يأتي باطن الباطن. أما المستوى الرابع فهو: العمق، ولا يمكن الإعراب عنه بالكلمات. لذلك يتعذر وصفه)).

التأصيل

قال تعالى:(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ)[102].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلا لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ) [103].

الشرح

يقول شمس التبريزي:(أما العلماء الذين ينكرون علىَّ الشريعة فهم يعرفون المعنى الخارجي، في حين يعرف الصوفيون المعنى الباطني، أما الأولياء فهم الذين يعرفون باطن الباطن، بينما لا يعرف المستوى الرابع إلا الأنبياء والأولياء الصالحين والمقربين من الله).

---

[102] سورة الحديد الآية 3.
[103] شرح السنة.

ويقول أيضاً: (إن القرآن نهر متدفق. لا يرى الذين ينظرون إليه من بعيد إلاَّ نهراً واحداً. أما الذين يسبحون فيه، فيجدون أربعة تيارات، فالذين يحبون أن يسبحوا بالقرب من سطح الماء يقنعون بالمعنى الظاهري للقرآن...)، ويقول: (لا يمكن وصف المستوى الرابع، لأنه توجد مرحلة تخذلنا اللغة بعدها. فعندما ندخل منطقة العشق، لا نكون بحاجة إلى اللغة) [104].

أقول: إن لكل شيء فى الوجود، ظاهرٌ وباطنٌ، فظاهره ما كان ظاهراً محسوساً ملموساً مرئياً أو مسموعاً. وباطنه بعكسه إنما يُعلم وجوده. وأكثر الناس تتعلق بالظواهر وتنكر البواطن، وأكثر المنكرين للبواطن هم الملحدون والكافرون. وقد بينت في التأصيل حقيقة ذلك.

وقد لخص العارف بالله الشيخ داود بن ماخلا مسألة الظاهر والباطن ببساطة شديدة فقال: (ديننا قسمان: ظاهره علم، وباطنه حقيقة.. فظاهره مضبوط بالأصول والنقول، وباطنه مضبوط بأنوار القلوب. فمن أتاك بشيء منه فاستشهد بما هو منه. فالظاهر

---

[104] أقول: إن الشريعة هي مثل جذر الشجرة الذي هو قوامها وأصلها، والجذع والفروع هما الطرق، والثمرة هي الحقيقة وهي المراد، فمن لم يستسقِ من الشريعة لا طريق له، ومن لا طريق له لا حقيقة له، والتذوق هو آخر تلك المراحل.

بشواهده، والباطن بشواهده. فمن قَبِلَ شيئاً من ظاهره بغير نقل ثقة زل، ومن قبل شيئاً من باطنه بغير شهود قلب ضل).

سُئل الإمام عليٌّ- كرم الله وجهه ورضي عنه- هل عندكم سوداء في بيضاء ليست في كتاب الله عز وجل؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلاّ فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه.

أقول: وذلك الفهم الذي ذكره الإمام هو العمق الذي تكلم عنه شمس. يقول سيدي إبراهيم الدسوقي: (أترومَ أن تتذوق أسرار معاني كلام الله عز وجل وأنت في الشهوات غارق؟ .. أم ترومَ ذلك وقد تذكرت كل شيء سواه، فلا تتلذذ إلا بما يحجبك عنه، حاشا لله، فإن كلام الله أعز وأجل من أن يدركه المنصرفون عنه).

يقول جلال الرومي: (إن القرآن مثل عروس خجولة[105]، لا ترفع حجابها إلا عندما ترى أن الناظر إليها لطيف وحنون في الصميم).

****

القاعدة العاشرة

---

[105] **أقول: قد ورد مثل هذا التشبيه في قول النبي ﷺ: (لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ الرَّحْمَنُ) شعب الإيمان للبيهقي.**

(السفر إلى داخل النفس)

((لا يوجد فرق كبير بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، فمهما كانت وجهتك يجب ، أن تجعل الرحلة التي تقوم بها رحلة في داخلك، فإذا سافرت في داخلك فسيكون بوسعك اجتياز العالم الشاسع، وما وراءه)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [106].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى حقيقة لا يدركها إلاّ من عاينها بنفسه، ولا شك أن مثل شمس قد خاض هذه التجربة بكاملها.

ولا شك أنه يوجد فرق كبير بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، هذا إذا كان الكلام عن الجهات وما يخصها جغرافياً. ولكن ما يريد أن يقوله شمس هنا أن كل هذه الجهات للسالك إلى الله لا تمت إليه

[106] سورة البقرة الآية 115.

بصلة، فرحلته داخلية روحانية، رحلة إلى حيث لا مكان ولا زمان ولا يوجد إلاّ الرحمن.

يقول جلال الدين الرومي: (لقد تجاوز الصوفي الحواس الخمس والاتجاهات الستة).

إذاً فهي رحلة خارج الزمان والمكان، والتى طالما حلم الغرب بالوصول إليها عن طريق آلة لا وجود لها ولن يكون لها وجود، فهم يبحثون عنها في الخارج، وهي في داخل الإنسان، وهي قلبه الذي أعده الله له كي يأتيه به، يقول تعالى: (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[107].

إنها تلك اللحظة التي يغيب فيها كل موجود عن المحب ولا يبقى إلاّ ربّ الوجود،(لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لا يَسَعُ فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)[108]. وتلك الرحلة المشار إليها بقوله تعالى:(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) [109].

---

[107] سورة الصافات الآية: 84.

[108] المقاصد الحسنة والأسرار المرفوعة. وان كان لا أصل له إلا أن هناك ما يشير إلى معناه وهو ما ورد أن النبيﷺ(كَانَ إِذَا آوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، جُزْءًا لِلَّهِ، وَجُزْءًا لأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ) شعب الإيمان للبيهقي ودلائل النبوة والشريعة للآجري والطبقات الكبرى لابن سعد.

[109] سورة النجم الآية: 9.

يقول شمس: (إنه قبل كل شيء على الإنسان أن يكون مؤمناً، وأن يعرف الله جيداً بكلية وجوده. الله الذي هو نور مُطلق، الذي هو غاية الحياة، ومعرفة القانون الأزلي والأبدي للوجود).

ويقول جلال الرومي: (قد ينتهي طريق عند بيت واحد، لكن ليس طريق العشق).

****

القاعدة الحادية عشر

(الحب يقبع في الداخل)

((إن البحث عن الله متأصل في قلوب الجميع سواء أكان ولياً أم قدسياً أم مؤمناً، فالحب يقبع في داخل كل منا منذ اللحظة التي يولد فيها، وينتظر الفرصة التي يظهر فيها منذ تلك اللحظة)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[110].

وقال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ...)[111].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أن البحث عن الله عز وجل سببه وجود الحب في أعماق القلوب، ويقول: إن الحب يظل منتظر الفرصة لكي يظهر.

---

[110] سورة الروم الآية 30.
[111] صحيح البخاري ومسلم.

والحب القابع في أعماق القلوب هو الفطرة التي فَطَر الناس عليها وهي محبته سبحانه وتعالى، وهي المقصودة في آية التأصيل وفي الحديث النبوي الشريف، وإن كان البعض يقول: إنها الإيمان بالله.

وأقول: أيّاً كان المسمى سنجده دائماً يرجع إلى نبعه الأصيل وهو حب الله عز وجل والذي لولاه ما كان شيء، فالحب يسبق كل شيء، يقول الله تعالى عن الإيمان: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[112]. فالحب سابق الإيمان، والإيمان سببه الحب، فتأمل!.

ولا شك أن تلك اللحظة التى يتحول فيها الإنسان إلى محب تتعدد إلى ملايين اللحظات، فهي تختلف من إنسان لآخر، ومفادها تحول الإنسان من حال الغفلة عن مولاه إلى الوله به، فبيْن عشية وضحاها يتغير كل شيء، نعم فالحب يُغَيِّر كل شيء.

لقد وضع الله بذرة الحب في الكل، ولكن الحجب المانعة لذلك الحب والتي هي من صنع الإنسان تقف حائلة، كالسحاب يحجب الشمس، فالحب أصل والحجب عارية.

---

[112] سورة الحجرات الآية 7.

يقول جلال الرومي: (إن مهمتك ليست البحث عن الحب، بل البحث بداخلك عن تلك الجدران والحواجز التي تبقيه بعيداً عن روحك).

يقول رسول اللهﷺ: (**جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلِيَهَا، وَعَلَى بُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا**)[113].

يقول أحد العارفين: (نحن قوم لا نرى محسناً إلا الله تعالى، فلذلك جُبلت قلوبنا على محبته).

إن الحب والنور والمعرفة، مرتبطون كسلسلة أيها فتح به جاء الآخر يتبعه، وكذلك البغض والظلمة والجهل، مرتبطون كسلسلة وهم أشد الحجب، وقد ورد عن النبيﷺ: (**إِنَّ دون اللَّهَ عز وجل سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ**)[114].

وعلى المحب أن يتخلص من كل الحجب حتى تزهق نفسه مرة بعد مرة، ويظل على ذلك حتى يبلغ مقام العشق الإلهي، حيث لا غير لله، فيشطح العاشق في بوادر كأس الفناء، ويقول: (أنا الحق) أو يقول: (سبحاني) وغيرها مما لا تستسيغه النفوس مما لا تعلم عنه شيئاً.

---

[113] مسند الشهاب وتاريخ بغداد وحلية الأولياء لأبي نعيم.

[114] الطبراني في معجمه.

طلبني يوماً صديق على الهاتف وقال لي: لقد جُنَّ الشيخ فلان، وأولاده يحبسونه في غرفة أسفل البيت حتى لا يسمع الناس ما يقول!.

فقلت له: وماذا يقول؟ فقال لي وبنبرة يملؤها الرعب: لقد كفر! يقول : أنا الله أنا الله.

فذهبت إليه وعندما رآني احتضنني وهو يقول نووووور، بصوت جهوري، ويعود فيقول: أنا الله!! وكانت عيناه تدور في المكان. فقلت لأولاده: الأمر بسيط! اذهبوا إلى الصيدلية ليعطيه الطبيب حقنة منومة، وسيستيقظ معافى بإذن الله ولن يتذكر شيئاً من ذلك. وبالفعل فعلوا ونام الشيخ قرير العين، وذهبتُ إليه اليوم الثاني لأطمأن عليه. فدخلت أصلي العشاء بمسجد مجاور لهم قبل الذهاب إليه، فوجدته في ذلك المسجد يصلي، وكان جالساً بجواري ولم يعرفني[115].

روى السُّلَمي أن أحد الصالحين رأى الله في النوم فقال: يا رب ما الفرق بين قوله(**الحلاج**): أنا الحق. وبين قول فرعون:أنا ربكم الأعلى؟ فأُلهم:(فرعون رأى نفسه وغاب عن الله. وهذا رآنا وغاب عن نفسه).

يقول جلال الرومي:(قلتُ: أشتهي وصلك قال: **ثمن الوصال ما هو إلا روحك**. فهتف قلبي: ربح البيع إذن).

****

[115] أفراد هذه الحادثة كلهم أحياء لليوم . وقد رويتها من ذاكرتي فقد مر عليها عدة سنوات.

القاعدة الثانية عشر

(السعي وراء الحب يغير)

((إن السعي وراء الحب يغيرنا، فما من أحد يسعى وراء الحب إلا وينضج أثناء رحلته، فما إن تبدأ رحلة البحث عن الحب حتى تبدأ تتغير من الداخل ومن الخارج)).

التأصيل

قال تعالى: (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ) [116].

يقول الله عز وجل: (**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**)[117].

الشرح

يقول شمس:(عندما تجد القابلة أن الحبلى لا تتألم أثناء المخاض، فإنها تعرف ان الطريق ليس سالكا بعد لوليدها، فلن تضع وليدها إذاً. ولكي تُولد نفسٌ جديدة يجب أن يكون ألم. وكما يحتاج الصلصال إلى حرارة عالية ليشتد، فالحب لا يكتمل إلا بالألم).

---

[116] **سورة آل عمران الآية 31.**

[117] **صحيح البخاري.**

ويضع جلال الدين الرومي للمحب المجاهد نفسه، الساعي وراء الحب سبعة أطوار:

الطور الأول: النفس الأمارة، وهو أشد الأطوار بدائية وانتشارا، حين تقع الروح في شرك المساعي الدنيوية، ويبقى معظم الناس في هذا الطور يعانون، لأنهم منهمكون في خدمة ذواتهم الوضعية، ويحمّلون الآخرين مسؤولية شقائهم.

الطور الثاني: حين يبدأ في جهاد النفس، ينتقل إلى النفس اللوامة، الذي هو عكس الطور الأول حيث يبدأ المرء بلوم نفسه، تصل أحيانا إلى درجة محو الذات، وبذلك يبدأ الرحلة نحو النقاء الداخلي.

الطور الثالث: يزداد المرء نضجا، فينتقل للنفس الملهمة، وفي هذا الطور يتمكن من معرفة المعنى الحقيقي لكلمة "الخضوع"، ويبدأ في الطواف في وادي المعارف الإلهية، والمرء الذي يبلغ هذه المرحلة يمتلك الصبر، والمثابرة، والحكمة، والتواضع، ويبدو العالم له جديدا مليئا بالإلهام. بيد أن معظم الذين يبلغون المقام الثالث، يرغبون في البقاء فيه، ويفقدون الرغبة في الانتقال إلى الأطوار الأخرى؛ لذلك مع أن الطور الثالث يبدو جميلاً ومباركاً، فإنه بمثابة شرك للشخص الذي يتطلع إلى بلوغ درجة أعلى.

الطور الرابع: أما الذين يتمكنون من المضي قدما، فهم يبلغون وادي الحكمة ويعرفون النفس المطمئنة، وهنا يختلف إحساس النفس عما كانت عليه، لأنها ترتقي إلى درجة أعلى من الوعي. ومن الصفات التي تلازم الذين بلغوا هذا الطور: الكرم، والعرفان، والشعور الدائم بالرضا، مهما بلغت مشاق الحياة ومصاعبها.

الطور الخامس: يأتي وادي الوحدة، ويشعر المرء الذي يبلغ هذا المقام بالرضا، مهما كان الوضع الذي يضعه الله فيه، فلا تهمه الأمور الدنيوية، لأنه بلغ النفس الراضية.

الطور السادس: تأتي النفس المرضية، حيث يصبح المرء مشكاة للإنسانية، يبث الطاقة لكل من يطلبها، ويعلم كأستاذ حقيقي، وقد يمتلك المرء قوى شافية، حيثما ذهب يحدث أثرا في حياة الآخرين، ففي كل شيء يفعله ويصبو إلى عمله، يكون هدفه الرئيسي خدمة الله من خلال خدمة الآخرين.

الطور السابع: حيث يبلغ المرء النفس النقية ويصبح "الإنسان الكامل"، لكن أحدا لا يعرف الكثير عن هذه الحالة، التي حتى لو بلغها البعض، فإنهم لا يتكلمون عنها.

هذه هي الأطوار السبعة التي يمر بها السالك إلى الله عز وجل، والسالكون متفاوتون فيها، فمنهم من يقطعها سريعاً ومنهم مَنْ يبقى فيها عمره كله ولا يتمها، فهي قسمة أزلية يتقلب فيها السالك يوماً بعد يوم، راغباً في مولاه، ليس له مطلوب غيره. يقول رسول اللهﷺ: يقول الله عز وجل: (**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، .....)**[118].

هذا هو التغير الذي يحدث للإنسان عندما يسعى وراء حب الله؛ فما أن يحبه مولاه حتى يتبدل كل شيء فيه يقول تعالى: (**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**).

نعم لم يعد هو فلان الذي كان قبل أن يحب.

يقول جلال الرومي: (اعشق إن كنت تريد معرفة العشق).

****

القاعدة الثالثة عشر (القاعدة الذهبية)

[118] صحيح البخاري.

(المعلمون المزيفون، والمعلمون الحقيقيون)

((يوجد معلمون مزيفون وأساتذة مزيفون في هذا العالم أكثر عدداً من النجوم في الكون المرئي، فلا تخلط بين الأشخاص الأنانيين الذين يعملون بدافع السلطة، وبين المعلمين الحقيقيين، فالمعلم الروحي الصادق لا يوجه انتباهك إليه، ولا يتوقع طاعة مطلقة أو إعجاباً تاماً منك، بل يساعدك على أن تقدر نفسك الداخلية وتحترمها، إن المعلمين الحقيقيين شفافون كالبلور، يَعْبُر نور الله من خلالهم)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[119].

الشرح

يقول شمس: (أنا أؤاخذ الشيخ لا المريد، ثم لا أي شيخ، بل الشيخ الكامل. لا شأن لي في هذه الدنيا بالعوام، لم آتِ من أجلهم. أتفحص أولئك الذين هم مرشدُوا العالم بحق).

ذات يوم أراد تلميذ أن يتبع شمس التبريزي، فقال له شمس: (هل تقدر على مرافقتي؟!).

---

[119] سورة يس الآية 21.

فقال التلميذ بنبرة الواثق: طبعاً.

فقال له شمس: (أريدك أن تتوجه إلى أقرب حانة وتطلب إبريقاً مليئاً بالخمر، وتأتي وتشربه هنا في السوق).

فقال التلميذ: إن احتساء الخمر بين الناس في السوق يفوق طاقتي لا يمكنني أن أفعل ذلك، لقد أرسلني أبي إلى الشيخ لأصبح مسلماً صالحاً، وليس لأصبح كافراً، ماذا سيقول عني عائلتي والناس؟.

فقال له شمس: (أرأيت كيف لا يمكنك أن ترافقني، فأنت تهتم برأي الناس فيك كثيراً، ولأنك شديد الحرص على نيل موافقة الآخرين، فإنك لن تتخلص من نقدهم مهما حاولت ذلك. إنك تقول أنك تريد أن تجتاز الطريق، لكنك لا تريد أن تضحي بأي شيء في سبيل تحقيق هذه الغاية، فأي شيء يعتبره المرء عزيزاً عليه من أمور الدنيا لابد وأن يتخلص منه أولاً).ا هـ.

ويقول جلال الرومي: (وأنت تريد أن تظفر بحياة باقية سرمدية، وهو مقام الأنبياء والأولياء من دون أن يصيبك مكروه، ومن دون أن تترك بعض ما عندك؟!... إن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، طَلَبَ منه الحق أن يدع زوجته وابنه الرضيع في واد غير ذي زرع ولا

ماء، ففعل، وطلب منه الحق أن يذبح ابنه الشاب إسماعيل، فكاد أن يفعل، لولا أن تداركه الرحمن وفداه بكبش عظيم).

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أمرين تحذيري وتنويري، أما الأول: فهو تحذير من المعلمين المزيفين، والزيف هنا قد يكون عن عمدٍ؛ وذلك يُقال عنه دجال، وفيه يدعي المشايخ المزيفون لنفسهم أعلى المقامات، ليجذبوا إليهم الناس والمريدين، وخصوصاً الأغنياء منهم، وعادة هؤلاء الإشارة إلى ما لهم من قدرات وخوارق ومقامات. وقد حدث في زمن الإمام الشعراني وقد كان وقتها قطب الوقت، أن دخل عليه شخصان ليحكم بينهم، وكلاهما يدعي أنه القطب!!.

وهناك زيف يكون عن غير عمدٍ، كأن يظن الإنسان في نفسه الولاية، أو ينصب بعد وفاة والده للمشيخة وهو ليس أهلاً لها، ويقبلها فرحاً مسروراً، وهذان مخدوعان وموهومان، سرعان ما يظهر زيفهما، حيث لا ينتج من طول مشيختهم لمتبعيهم شيء.

وأما الأمر الثاني الذي يشير إليه شمس فهو تنويري: بوجود معلمين حقيقيين، ووضع وصفاً من ضمن أوصافهم وهو أنهم لا يشيرون إلى أنفسهم، بل يشيرون إلى الحبيب الأعظم الذي هو اللهﷻ.

فالشيخ الصادق ما هو إلاّ مرشد إلى طريق الحق لا إلى طريقه هو، وإن كان طريقه هو طريق الحق، إلاّ أنه يسلك بالمحب الطريق الذي سلكه إلى الله عز وجل، فالشيخ الباب إلى باب الله الأعظم وهو رسول الله ﷺ، والله تعالى هو المقصد والغاية والمنتهى.

يقول شمس: (اقترب ممن يفتحون في روحك نوافذ من نور ويقولون لك: إنه في وسعك أن تضيء العالم).

ولا شك أن الكثير من المريدين لا تبلغ هممهم إلى تلك الغاية، وإن ادعوها وأظهروا ما يدل على طلبها: كمرافقة المشايخ وحضور مجالسهم. ولذلك وضع الأولياءُ المرشدون شروطاً كي يمتحنوا بها صدق الطالب الراجي منهم الصلة بالله عز وجل. فالطريق إلى الله ليس بلعبة ولا أمنية يتمناها الإنسان دون صدق وعمل وتضحية.

فمن وجدوه صادقاً أخذوا بيده إلى الله، ومن وجدوه غير ذلك تركوه ينهل من مجالس الذكر، والعلم، والخدمة، عسى الله أن يحدث أمراً.

وقضية امتحان الطالب للحق قضية شرعية، فقد حدثت مع الصحابة رضي الله عنهم حيث قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ)[120]، وكذلك حدثت مع الخضر وموسى عليهما السلام، وحدثت مع شمس التبريزي وجلال الرومي، ولا زالت تحدث في كل زمان ومكان، وستظل تحدث ما دام هناك طلاب للحق عز وجل.

يقول جلال الرومي: (العشق نبع.. فانغمر).

****

القاعدة الرابعة عشر

(لا تقاوم... دع الحياة تعيش فيك)

[120] سورة الممتحنة الآية 10.

((لا تحاول أن تقاوم التغيرات التي تعترض سبيلك. بل دع الحياة تعيش فيك، ولا تقلق إذا قلبت حياتك رأساً على عقب، فكيف يمكنك أن تعرف أن الجانب الذي اعتدت عليه أفضل من الجانب الذي سيأتي)).

التأصيل

قال تعالى:(وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)[121].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة الهامة جداً إلى عقبة من عقبات الطريق التي قد تعترض طريق السالك إلى الله، ويصف دوائها كعادته، وهي التغييرات الجذرية التي تحدث للبعض كزوال ملك أو فقر بعد غنى أو فقد أحبة....إلخ، مما يتسبب في قلب حياة السالك رأساً على عقب.

والحق أن تلك التغييرات الجذرية في ظاهرها عقبة إلاّ أنها في الحقيقة دفعة قوية في طريق الحق، كمن يشد السهم في القوس

[121] **سورة البقرة الآية 216.**

للخلف كي يدفعه لأقصى مسافة. وبسبب هذه العقبة ترك الكثيرون الطريق، ورجعوا عنه فلا استفادوا بالمحنة ولا عاد لهم ما فقدوه!!!.

وقد روت لنا السيرة النبوية كيف امتُحن النبيﷺ ومن معه في شعب أبي طالب فصبروا. وغيرها من المحن التى لو وضعت قطرة منها على الأمة اليوم لذابت ذوبان الرصاص في النار. وقد ذكر الله ذلك في كتابه حيث قال: (هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا)[122].

وقد وصف الله الصحابة الذين صبروا على تلك المحن فقال تعالى عنهم: (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)[123].

ومن هؤلاء الذين ضربوا أعظم الأمثلة في التضحية من أجل حب مولاهم سيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه.

فقد أسره الكفار وقاموا بتعليقه في شجرة. وقالوا له: أتحب أن يكون محمد مكانك الآن؟

---

[122] سورة الأحزاب الآية 11.
[123] سورة الأحزاب الآية 23.

فقال: والله ما أحب أن يكون رسول الله في بيته ويشاك بشوكة.

وقبل أن يقتلوه طلب أن يصلي ركعتين، ثم قال اللهم بلغ عني رسولك ما فعلته.

وَبَعَثَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ لِيُؤْتَوْا مِنْ لَحْمِهِ بِشَيْءٍ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا .

وليس الرجال وحدهم من ضربوا أعظم أمثلة المحبة لله ورسولهﷺ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ،وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: **فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ قَالُوا: خَيْرًا، يَا أُمَّ فُلانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ.قَالَتْ: **أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ**.فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ:**كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ**)[124].

هكذا كان صدقهم في محبتهم للرسول الأعظم والنبي الأكرمﷺ.

ولا شك أن الأمر لا ينتهي عند الامتحان والمحن، بل إن بعدهما كل خير، ولذلك أشار شمس قائلاً:(**فكيف يمكنك أن تعرف أن الجانب الذي اعتدت عليه أفضل من الجانب الذي سيأتي**).

[124] تاريخ الطبري. وكتب السيرة النبوية.

يقول تعالى: (فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا)[125].

لقد صبر النبيﷺ فأثابه الله عز وجل نصراً وفتحاً مبيناً، وهكذا كل من ابتلاه الله في محبته فرضي وصبر، نال الفرح بعد الجرح، واليسر بعد العسر، وكفى بحب الله نصراً وعزاً.

وهذا ما حدث مع جلال الدين الرومي وشمس التبريزي، فقد تعرضا للمحن، وقتل شمس،ولكن من أبقى الله ذكره مرتبطاً بمحبته إلى اليوم؟

إنه شمس التبريزي وجلال الرومي ...

يقول جلال الرومي: (إن هذه الحياة أقصر من شهقة وزفيرها، فلا تغرس بها سوى بذور المحبة).

****

القاعدة الخامسة عشر

(الكمال الإنساني)

[125] سورة الشرح الآيتان 5و6.

((**يقول القرآن الكريم:** (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ)[126]، **وهي قاعدة من القواعد: إن الله منهمك (مهتم)[127] بإكمال صنعك من الخارج ومن الداخل إنه منهمك(مهتم) تماماً، فكل إنسان هو عمل متواصل يتحرك ببطء لكن بثبات نحو الكمال، فكل واحد منا هو عبارة عن عمل فني غير مكتمل يسعى جاهداً للاكتمال. إن الله يتعامل مع كل واحد منا على حدة، لأن البشرية لوحة جميلة رسمها خطاط ماهر تتساوى فيها جميع النقاط من حيث الأهمية لإكمال الصورة**)).

التأصيل

قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ)[128].

وقال رسول الله ﷺ:(إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)[129].

الشرح

---

[126] سورة التين الآية 4.

[127] إن كلمة منهمك لا تليق بالله تعالى وأغلب الظن أنها صحفت من الترجمة، وأعتقد أن أقرب الألفاظ لها هي: (مهتم) بقرينة آخر القاعدة التي ذكر فيها لفظ: (الأهمية). والله أعلم. (المؤلف)

[128] سورة غافر الآية 64.

[129] صحيح مسلم.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى تلك الخصوصية التي خص الله بها الإنسان حيث خلقه في أحسن تقويم، وأراد له المقام الأعلى، وهو مقام العبودية المقرونة بالحب، فالملائكة تعبد الله عبادة الخوف، والوجود كله يعبد الله عبادة الجبر، أما الإنسان الذي اختاره الله لتلك العبودية الفريدة، التي تجعله في أعلى عليين، أما إن تركها فيرد إلى أسفل سافلين، يقول تعالى عن هؤلاء الغافلين عن تلك النعمة: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ)[130].

ثم يشير شمس إلى تلك الحقيقة، أن الله مهتم بالإنسان خصوصاً فقد اختصه بتلك المنزلة العظيمة منزلة (المحبة)، التي أهلته ليكون خليفته في الأرض، دون الجن بل دون الملائكة التي لا تعصيه طرفة عين، إن الحب يطهر الإنسان من كل سوء ويملؤه بكل خير ويؤهله لدخول الحضرة القدسية التي لا تستطيعها الملائكة.

[130] سورة الأعراف الآية 179.

يقول يحي بن معاذ: (مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة). أي: من حب الله عز وجل.

لقد خلق الله الإنسان على صورته، قال رسول اللهﷺ: (لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ)[131]، أي: يُحِب ويُحَب مختاراً دون إجبار، خلقه قابلاً للصفات الإلهية من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة، فالعبد عبد والرب ربّ. لقد أحب الله الإنسان فأراد له الكمال.

نعم. الإنسان يستطيع أن يصل إلى الكمال بطريق الحب، وقد ورد عن النبيﷺ أنه قال: (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)[132].

يقول جلال الرومي: (المُطلق أراد أن يُعشق فخلق الإنسان).

****

القاعدة السادسة عشر

(تعلم كيف تحب الخلق)

---

[131] معجم الطبراني وإتحاف الخيرة المهرة، والسنة لابن أبي عاصم، والتوحيد لابن خزيمة.
[132] صحيح البخاري ومسلم . وقد ورد كذلك الكمال للسيدة خديجة وفاطمة رضي الله عنهما.

((من السهل أن تحب إلهاً يتصف بالكمال، والنقاء، والعصمة لكن الأصعب من ذلك أن تحب إخوانك البشر بكل نقائصهم وعيوبهم، تذكر أن المرء لا يعرف إلا ما هو قادر على أن يحب . فلا حكمة من دون حب وما لم تتعلم كيف تحب خلق الله، فلن تستطيع أن تحب حقاً ولن تعرف الله حقاً)).

التأصيل

قال رسول الله ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[133].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى نقطة غاية في الأهمية، ألا وهي محبة الخلق. لا شك أن كثيرين ممن يدعون حب الله تمتلئ قلوبهم ببغض الكثير من الخلق، سواء لاختلاف العقيدة أو الديانة أو العرق أو المذهب أو الطائفة .....إلخ.

والحق أن كل من أحب الله عز وجل وثبتت محبة الله تعالى له لا يبقى في قلبه مكان للبغض والتناحر. إلاّ ما كان لله، بشرطين: ألا يترتب على البغض في الله عدواناً. وأن يظل المسلم يُحب لهم الهداية.

[133] صحيح البخاري ومسلم.

فهي كراهية قول وفعل لا كراهية فاعل. اللهم إلاّ إذا اعتدوا علينا فنرد العدوان عليهم بمثل ما اعتدوا حباً لله أيضاً. وهذا لمن كان فى مقام الشريعة الشريف. وقد كان الصحابة يكرهون الشرك والمشركين لعدائهم، فإذا أسلم منهم أحد صار أخاً لهم في الحال وتلاشى كل بغضٍ له؛ لكون ذلك البغض فرعاً من المحبة وليس أصلاً.

أما من وصل إلى مقام المحبة والعشق، فهو مأخوذ في حبه لمولاه، مجذوبٌ لا يرى في الكون سوى مولاه ومشيئته ومراده.

لقد كان نبيناﷺ يحب جميع الخلق، فقد أرسله الله رحمة للعالمين، فكيف يبغض قوماً يريد هدايتهم، حتى إن الله أشفق عليه حيث قال له: (لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ)[134]، لقد كان يستغفر لهم كل يوم سبعين مرة ، كيف يستغفر لقوم يكرههم، وظل يستغفر لهم حتى قال تعالى له: (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ)[135].

---

[134] سورة الشعراء الآية 3.
[135] سورة التوبة الآية: 80.

وكذلك ما ورد في السيرة والأحاديث فها هو رسول اللهﷺ يسأل الله قائلاً: (**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**)[136].

إن الشواهد على محبة النبيﷺ للخلق كثيرة جداً، والأمر كما بينته في مسألة البغض كونها من لوازم المحبة بشروطها المذكورة.

إذاً فمن علامات محبة الحق محبة الخلق، وليس من دواعي المحبة أن تتودد لعدوك، ولكن من دواعيها ألاّ تعاديه إن لم يعادك، وأن تتمنى له الهداية، يقول تعالى عن الوالدين الكافرين: (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا)[137]، أمرٌ إلهي بأن نصاحبهما في الدنيا بالمعروف رغم كفرهما بالله وإغرائنا بالكفر والشرك!! إنها الرحمة الإلهية التي افتقدها كثيرون ممن يَدَّعون محبة الله عز وجل.

---

[136] سنن الترمذي ومسند أحمد والمستدرك.

[137] سورة لقمان الآية: 15.

وتؤكد السنة النبوية على ذلك ولولا الحرص على عدم الإطالة لذكرنا الكثير والكثير، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

يقول رسول الله ﷺ -أمير الحب والسلام والرحمة-: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)[138].

المسلم هو المؤمن المحب لله ورسوله والمؤمنين والناس أجمعين.

يقول جلال الرومي: (العشق يحرق كل الآفات الذميمة من الوجود كله).

****

القاعدة السابعة عشر

(الحب وحده يطهر القلوب)

[138] مسند أحمد وسنن النسائي.

((إن القذارة الحقيقية تقبع في الداخل، أما القذارة الأخرى فهي تزول بغسلها. ويوجد نوع واحد من القذارة لا يمكن تطهيرها بالماء النقي، وهو لوثة الكراهية والتعصب التي تلوث الروح. نستطيع أن نطهر أجسامنا بالزهد والصيام، لكن الحب وحده هو الذي يطهر قلوبنا)).

التأصيل

قال تعالى:﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[139].

الشرح

أحضر شمسٌ يوماً امرأةً بغيةً إلى بيت جلال الدين –وهو بيت علم وتقوى وصلاح– فقالت زوجة الرومي لشمس: ماذا سيقول جيراننا لو عرفوا أن فتاة سيئة السمعة تحت سقف بيتنا؟!.

فقال: (ألسنا نعيش جميعاً تحت سقف واحد في جميع الأحوال؟ فالملوك والشحاذون والعاهرات، كلهم يعيشون تحت سماء واحدة).

يشير شمس في هذه القاعدة إلى التعصب والكراهية، وقد ذكرنا طرفاً منها في القاعدة السابقة، وكأن شمساً يريد التأكيد على تلك

[139] سورة التوبة الآية: 108.

الآفة الطامسة للحقائق، الحاجبة للأنوار، ويقول شمس: إن القذارة الجسدية تُمحى بالماء، وأقول: وكذلك معاصينا نطهرها بالاستغفار والتوبة. وهنا يصف شمس الدواء لداء العصبية فيقول: (**الحب وحده هو الذي يطهر قلوبنا**).

وقد ورد في الأحاديث النبوية التحذير من تلك العصبية وذلك في قول النبيﷺ: (**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**)[140].

بل يبلغ الأمر ذروته وخطورته إلى التبرؤ من العصبيين وذلك في قول النبيﷺ: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ**)[141].

إذاً لقد كان شمسٌ محقاً حين جعلها من ضمن قواعد عشقه الأربعين، فالتنبيه على عوائق الحب لا يقل أهمية عن أسبابه.

وبما أن الدواء هو الحب؛ فلنذكِّر الأحبة ببعض الذين يحبهم الله، لعل الأحبة ينتعشون.

---

[140] صحيح مسلم.
[141] سنن الترمذي.

قال تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ)[142]. وقال تعالى: (وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[143]. وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ)[144].

وقال تعالى: (فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ)[145]. وقال تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[146]. وقال تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ)[147]. وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ)[148]. وقال تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ)[149].

كل هؤلاء وأكثر يحبهم الله.اللهم اجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا كريم.

(يا داود، أحبني، وأحب أحبائي، وحببني إلى عبادي).

يقول جلال الرومي: **(إن العشق يتفتح ويزدهر فقط في أفئدة أرباب الشرف والفتوَّة والإباء، والعشق في ذاته يُهدي الطهارة والعفة والنقاء، وبه يعرج صاحبه إلى ما وراء الكائنات).**

****

القاعدة الثامنة عشر

---

[142] سورة التوبة الآية: 108.
[143] سورة البقرة الآية: 195.
[144] سورة البقرة الآية :222.
[145] سورة آل عمران الآية: 76.
[146] سورة آل عمران الآية: 134.
[147] سورة آل عمران الآية: 146.
[148] سورة آل عمران الآية: 159.
[149] سورة الممتحنة الآية: 8.

(الكون كله بداخلك . اعرف نفسك تعرف ربك)

((يقبع الكون كله داخل كل إنسان، في داخلك كل شيء نراه حولنا، بما في ذلك الأشياء التي قد لا نحبها، حتى الأشخاص الذين قد نحتقرهم أو نمقتهم، يقبعون في داخلنا بدرجات متفاوتة.. لذلك لا تبحث عن الشيطان خارج نفسك أيضاً. فالشيطان ليس قوة خارقة تهاجمك من الخارج بل هو صوت عادي ينبعث من داخلك، فإذا تعرفت على نفسك تماماً وواجهت بصدق وقسوة جانبيك المظلم والمشرق. عندها تبلغ أرقى أشكال الوعي. وعندما تعرف نفسك فإنك ستعرف الله)).

التأصيل

قال تعالى: (وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم)[150].

الشرح

[150] سورة إبراهيم الآية 22.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أن الإنسان ليس مجرد هذا الجسد الذي تسكنه نفسٌ إن غادرته مات وتحلل وانتهى أمره، بل يقول إن كل الكون داخل الإنسان، أي: أن الإنسان كما قال الإمام علي﵇:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ويقول جلال الرومي: **(أنت في الصورة العالم الأصغر، وأنت في المعنى العالم الأكبر)**

لقد خلق الله الكون من أجل أن يُعرف ويُحَب وهو الغني عن العالمين، ولكنه سبحانه أحب أن يُحِب ويُحَب، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[151].

ولم يكن ذلك لغير الإنسان، فكل الكون كان من أجل الإنسان، وشاهد ذلك أن الله سيمحي كل الكون بعد انتقال الإنسان إلى عالم الآخرة، إذْ إنه العلّة من بقاء الكون، كما أنه كان العلة من وجوده، كما أن الحب هو العلّة في وجود الإنسان.

[151] سورة المائدة الآية 54.

والإنسان بحبه لله تعالى حمل بداخله صفة أزلية لله تعالى، وصفة الله أعظم من كل الأكوان وتسع الأكوان ولا يسعها شيء، وإنما وسعها قلب المحب لمشيئة الله ذلك، وهي سعة معنوية لا تعني الإحاطة.

وليست صفة المحبة فقط هي التي يحملها الإنسان بداخله، بل الرحمة والمودة والعفو .....إلخ. كل تلك الصفات جعلت الإنسان أوسع من الكون وأعظم بما يحمله، ولذا قال الرومي: (عظمة العشاق من عظمة من يعشقون).

وبعد ذلك البيان يأخذنا شمس لمنعطف آخر، وكأنه كما وجهنا لعظمة الإنسان يوجهنا إلي ما يشين تلك العظمة، فينبه على قضية الشيطان، فيقول: **(لا تبحث عن الشيطان خارج نفسك)**.

أي: مدام الإنسان بداخله كل شيء فبداخله الشيطان أيضاً، ويؤكد ذلك قول النبيﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[152].

يقول شمس: (والرسالة هي أن العذاب الذي قد يوقعه المرء على نفسه لا نهاية له، إن الجحيم يقبع في داخلنا، وكذلك الجنة، إذ يقول القرآن إن الإنسان هو أكثر الكائنات تبجيلاً فنحن أعلى من أعلى الكائنات، لكننا كذلك أدنى من أدناها، فلو تمكنا من إدراك هذا المعنى

[152] صحيح البخاري.

جيداً لكففنا عن التفكير بأن الشيطان يقبع في خارجنا، ونعترف بأنه موجود في أنفسنا، إن ما نحتاج إليه هو أن نبحث في أنفسنا بصدق لا أن نترصد عيوب الآخرين ونتصيدها).

وبهذا يكون الإنسان هو ذلك المحبوب المكرم بالحب والتقوى، ويكون هو هو ذلك المحجوب الشقي التعيس بالبغض والفسق، فالنفس هي المحور قَالَ عنها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي إِذَا قَتَلَكَ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ، وَإِذَا قَتَلْتَهُ كَانَ لَكَ نُورًا، **أَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ**). وقال تعالى عنها: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)[153].

إذاً فمن عرف نفسه بالخير، فقد عرف أنها محبوبة الله، ومن عرف نفسه بالشر، عرف أنها مبغوضة الله. إذْ بالحب تعرف الأشياء.

وعلى الإنسان أن ينتبه لنفسه وشيطانه فيجاهدهما بالحب جهاداً كبيراً فسرعان ما تنصاع النفس لبارئها، ومن ثم يخنس الشيطان.

يقول الرومي: (**مذهب العشاق وملتهم هو الله**).

****

[153] سورة الشمس الآيات 7و8و9و10.

القاعدة التاسعة عشر

(تغير أولاً)

((إذا أراد المرء أن يغير الطريقة التي يُعامله فيها الناس، فيجب أن يُغير أولاً الطريقة التي يُعامل بها نفسه، وإذا لم يتعلم كيف يحب نفسه حباً كاملاً صادقاً فلا توجد وسيلة يمكنه فيها أن يحب، لكنه عندما يبلغ تلك المرحلة سيشكر كل شوكة يلقيها عليه الآخرون، فهذا يدل على أن الورود ستنهمر عليه قريباً. كيف يمكن للمرء أن يلوم الآخرين لأنهم لا يحترمونه، إذ لم يكن يعتبر نفسه جديراً بالاحترام؟)).

التأصيل

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [154].

الشرح

يشير شمس كعادته إلى الداء ثم يصف الدواء، فهو طبيب روحاني متمرس دون شك. ذكر شمس الداء وهو الضجر من سوء معاملة الناس، والدواء يجب أن تحب نفسك أولاً كي يحبك الناس، وإذا أردت أن يحترمك الناس فيجب أن تحترم نفسك أولاً.

[154] سورة الرعد الآية: 11.

ما أسهل هذه الوصفة، وعليها قس كل شيء بينك وبين الناس.

ولذا يقول شمس التبريزي: (المشكلة تحدث منك).

ويقول جلال الرومي: (بالأمس كنت ذكياً فأردت تغيير العالم، اليوم أنا حكيم ولذلك سأغير نفسي).

وقد علمنا النبي ﷺ أن:(الخَصلَة الْوَاحِدَةُ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهَا عَمَلَهُ كُلَّهُ) [155].

وتلك الخصلة هي حب الله، وحب الله يعني: أن الإنسان أحب لنفسه الخير كله، فهل من خير بعد حب الله، وكما ذكر سابقاً أن من أحب الله أحب خلقه ولا بد، وبذلك ينصلح الحال وتتغير طريقة الناس معك.

يقول ابن الجوزي:(**أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين الناس**)

وقال النبيﷺ: (**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) [156].

يقول جلال الرومي: (**العشق أكسيرٌ ودواء للأمراض الأخلاقية والنفسية التي تصيب البشر**).

****

[155] مسند أبي يعلى ومسند البزار.

[156] صحيح البخاري ومسلم.

القاعدة العشرين

(لا تهتم إلى أين سيقودك الطريق)

((لا تهتم إلى أين سيقودك الطريق بل ركز على الخطوة الأولى. فهي أصعب خطوة يحب أن تتحمل مسئوليتها. وما إن تتخذ تلك الخطوة ؛ دع كل شيء يجري بشكل طبيعي، وسيأتي ما تبقى من تلقاء نفسه. لا تسر مع التيار بل كن أنت التيار)).

التأصيل

قال تعالى :﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [157].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى عدة توجيهات لمن أراد طريق المحبة منهجاً، فيقول له: (لا تهتم إلى أين سيقودك الطريق بل ركز على الخطوة الأولى).

[157] سورة آل عمران الآية: 159.

وهذا لثلاثة أسباب:

الأول: أن طاعة مرشده الروحي لا تحتمل غير التسليم له، وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي المغسل.

والثاني: أن من سلك طريقاً يرجو فيه وجه الله أوصله الله إليه.

والثالث: أن السالك إلى الله لا يدري ما قُسم له في الأزل، إنما يسعى متوكلاً على الله واثقاً فيكرمه وجوده سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾، هكذا حُباً إلهياً من أول خطوة.

نعم! إنها أصعب خطوة وأعظم خطوة في حياة الإنسان، تلك التي يقدم فيها حب مولاه على كل شيء كان ما كان، فسوف تناديه الدنيا وأهلها، وأهله وأولاده وتجارته وجيرانه وبيته.....الكل سوف يناديه.

نعم إن ترك كل تلك المسئوليات أعظم مسئولية، فهل سيأخذ تلك الخطوة؟ إن الشيطان يخوف طالب المحبة الإلهية بكل ما سبق، فإن كان ممن سبقت لهم الحسنى فلن يبالي بتلك التهويلات والتخويفات.

فطالب محبة الرحمن لا يبالي بالمهالك ولا بما سيئول إليه أمره.

بل إن المحب إذا بلغ مقام العشق يحترق بنار الشوق حتى إنه يتمنى الموت كل لحظة للقاء محبوبه الأعظم ناسياً الكل ونفسه.

يقول جلال الرومي: **(وفي تلك اللحظة التي يدرك فيها العقل العواقب، يرتفع من العشق نداء: ليكن ما يكون ليكن ما يكون)**.

ولكن ماذا يحدث بعد ذلك كله الحقيقة هي ما قاله شمس: **(وما إن تتخذ تلك الخطوة دع كل شيء يجري بشكل طبيعي، وسيأتي ما تبقى من تلقاء نفسه)**.

نعم، هذا هو ما سيحدث، ولاشك من وجود خسائر قد تكون كبيرة أو صغيرة، ولكن لا بد منها، فمن الناس من يخسر زوجته أو أولاده أو تجارته، أو يُتهم بالجنون ليحتالوا على ماله....إلخ.

إنها ليست رحلة واحدة بل هي عدة رحلات متتالية، كل واحدة منها تفوق بعد المشرق عن المغرب، وعند العودة منها لن تكون نفس الشخص الذي كان، سافرت كوكباً مظلماً لا قيمة له وستعود شمساً

تضيء العالم بحب الله عز وجل، سترزق بصراً وسمعاً ربانياً، سيتبدل فيك كل شيء ..... كل شيء.

وآخر توجيهات شمس وهي: **(لا تسر مع التيار بل كن أنت التيار)**.

معظم الناس تسير مع التيار، تسير مع الحياة المعتادة كل يوم، بينما شمس يقول لك أخرج عن تلك العوائد كلها، كن أنت حياة جديدة مستقلة.

يقول ابن عطاء الله: **(كيف تُخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد)**.

يقول جلال الرومي: **(ألق نفسك في نهر العشق، حتى وإن كان نهراً من الدماء)**.

****

القاعدة الواحدة والعشرون

(احترام النظام المقدس)

((لقد خلقنا جميعاً على صورته ومع ذلك فإننا جميعاً مخلوقات مختلفة ومميزة، لا يوجد شخصان متشابهان، ولا يخفق قلبان لهما الإيقاع ذاته، ولو أراد الله أن نكون متشابهين لخلقنا متشابهين، لذلك.. فإن عدم احترام الاختلافات وفرض أفكارك على الآخرين، يعني عدم احترام النظام المقدس الذي أرساه الله)).

التأصيل

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ[158] سورة الحجرات.

الشرح

[158] سورة الحجرات الآية :13.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى حقيقة شرعية وجودية يتناساها البعض قاصداً، أو يغفل عنها ساهياً. وهي: اختلاف الناس بعضها عن بعض في كل شيء، لوناً، وبلداً، وعرقاً، ودیناً، ومذهباً، وفكراً، وعرفاً، وتقليداً، وفهماً، وقدرة....إلخ.

يقول تعالى: (وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ). ويقول تعالى :(وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)[159].

يقول شمس: **(ولو أراد الله أن نكون متشابهين لخلقنا متشابهين)**.

ثم يوضح شمس إلى ما يرمي بتلك المقدمة المعروفة للكل، إنه يقول: **(فإن عدم احترام الاختلافات وفرض أفكارك على الآخرين يعني عدم احترام النظام المقدس الذي أرساه الله)**.

أي أنه: مادام الله خلقنا بحكمته مختلفين في كل شيء، فكذلك نحن مختلفين في الأفكار، وكذلك في درجات الفهم، والثقافات، وفي الميول، وفي القسوة والرحمة، وعلى هذا فمن له أدنى مسكة من عقل

[159] سورة هود الآية: 118.

لا بد وأن يحترم الاختلافات التي بين الناس شاء أم أبى فستظل قائمة، ولو جاء للناس بألف ألف دليل على صحة فكره.

يقول تعالى عن دينه الذي هو الحق الذي لا ريب فيه: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا)[160].

ويقول تعالى عن دينه الذي هو الحق المُطلق: (وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ)[161].

فمن أنت أيها المتعصب لتفرض ما لم يفرضه رب العالمين؟!

وما عظمة فكرك هذا أمام دين الله لتفرضه على الآخرين؟!!.

نعم: الحق ما قاله شمس: إن من يريد فرض أفكاره على الناس جميعاً هو شخص لا يحترم الحكمة الإلهية في خلق الناس مختلفين أحراراً

[160] سورة يونس الآية 99.
[161] سورة الكهف الآية 29.

يعتنقون ما شاءوا، وحسابهم على الله عز وجل يقول تعالى لسيد الخلقﷺ:(مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ)[162]، و(لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ)[163].

هذا هو أعظم الأديان في الأرض وهو دين الإسلام.

يكفل الحرية للجميع، ويأمر نبيّه بالتبليغ ليس إلاَّ، ويقول لنبيه ليس من مهامك أن تسيطر على أحد. أما من ادعى الإسلام وخالف ذلك النهج فلا يقال هذا الإسلام، إنما هذا إنسان خالف منهج الله وحسابه على ربه، إن احترام منهج الله وكلامه من دلائل الحب قطعاً.

يقول جلال الرومي: (**لا يحتاج العشق لأي مسميات أو تصنيفات أو حتى تعريفات، فالعشق عالم قائم بذاته وأنت إما أن تكون في قلب هذا العالم، أو تكون بخارجه تتوهمه**).

****

[162] سورة المائدة الآية 99.
[163] سورة الغاشية الآية 22.

القاعدة الثانية والعشرون

(في كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة)

((عندما يدخل عاشق حقيقي لله إلى حانة فإنها تصبح غرفة صلاته، لكن عندما يدخل شارب الخمر إلى الغرفة نفسها فإنها تصبح خمارته، ففي كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة لا مظاهرنا الخارجية)).

التأصيل

قال رسول الله ﷺ: **(جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ)** [164] ترجمة.

الشرح

[164] صحيح البخاري.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى مسألة عشقية مرتبطة بمسألة شرعية، أما المسألة العشقية فهي أن العاشق لله أينما ذهب كان محله محل صلاة، لكون العاشق لا يفتر عن ذكر معشوقه الذي هو الله عز وجل، فكل مكان يدخله هو محل عبادة، وغرفة صلاة وصلة بالله ولو كانت خمارة. وأما المسألة الشرعية فقد بينها نبيناﷺ حين قال: **(جُعلت لي الأرضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، أَيْنَمَا أَدْرَكَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةَ صَلَّى)**[165].

إن شمس ينقلنا دائماً من عالم الأجسام إلى عالم الروح، ومن عالم الملك إلى عالم الملكوت، ومن عالم الظاهر إلى عالم الباطن، ومن عالم العقل إلى عالم القلب، ومن دائرة الهوى النفسي إلى دائرة العشق الإلهي. وذلك حين يقول: **(ففي كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة لا مظاهرنا الخارجية)**، ويقول: الصوفيون لا يحكمون على الآخرين من مظهرهم، أو من هم، عندما يحدق صوفي في شخص ما فإنه يغمض عينيه ويفتح عيناً ثالثة، العين التي ترى العالم الداخلي. إن شمس يستوحي كل قواعده من الكتاب والسنة فقد ورد ذلك التوجيه الشمسي

[165] سنن أبي داود ومسند أحمد وسنن النسائي وصحيح ابن حبان.

في الحديث النبوي الشريف قال رسول الله: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ)**[166].

ويشير شمس في تعليقاته إلى العين الثالثة التي تفتح في القلب، والتي يرى بها في الداخل كل شيء جميل، والحقيقة أن تلك العين موجودة عند الجميع، إلا أنها مطموسة ومحجوبة بالبغض، والكراهية، والطمع، فمن تخلى عن تلك الحجب، وتحلى بالحب، تجلى له محبوبه في كل شيء، وحجبه عن كل شيء سواه.

يقول جلال الرومي: **(إن مهمتك ليست البحث عن الحب ! بل البحث بداخلك عن تلك الجدران والحواجز التي تبيقيه بعيداً عن روحك).**

يقول رسول اللهﷺ: (... فَلَمَّا نَزَلْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي، فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ " قَالَ: **هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ)**[167].

---

166 صحيح مسلم.

167 مسند أحمد.

يقول شمس التبريزي: (إن الناس يعانون من مرض مشترك وهو الانفصال عن الواحد الأحد).

يقول جلال الرومي:(يا سيدي لا تسلمني إلى إغواء النفس لا تتركني مع سواك، لخوفي مني أسرع إليك، أنا منك فأعدني إليك).

****

القاعدة الثالثة والعشرون

(الحياة دَيْن مؤقت)

((ما الحياة إلا دَيْنٌ مؤقت، وما هذا العالم إلا تقليد هزيل للحقيقة، والأطفال فقط هم الذين يخلطون بين اللعبة والشيء الحقيقي، ومع ذلك فإما أن يفتتن البشر باللعبة أو يكسروها بازدراء ويرموها جانباً، في هذه الحياة تحاشى التطرف بجميع أنواعه، لأنه سيحطم اتزانك الداخلي، فالصوفي لا يتصرف بتطرف، بل يظل متسامحاً ومعتدلاً على الدوام)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[168].

الشرح

يشير شمس إلى الحياة بكونها دَيْنٌ. أي: لا بد للإنسان من دفع هذا الدين الذي هو حياته في النهاية ومن ثم يفارق هذه الدنيا.

وهي إشارة هامة من شمس يريد بها الحث على استثمار هذا العمر في حب الله عز وجل. فلا يوجد من يستحق إنفاق العمر عليه سواه، إن الحياة لعبة وهكذا وصفها من خلقها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، والمراد أن: الحياة قصيرة جداً تكاد تشبه لعبة العروسة التي يلعب بها الأطفال، فهي ليست عروسة حقيقية. وعلى من يريد أن يجعلها حقيقية أن يعيش فيها بالحقيقة التى هي حب الله عز وجل، قال تعالى:﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، فما كان لوجهه سبحانه بقي ولم يهلك، وصبغ بصبغة الحقيقة، فلا شك أن حب الله باقٍ، ومن أحبه سبحانه يبقى ببقائه تبارك وتعالى.

---

[168] سورة محمد الآية: 36.

ثم يتوجه شمس بالنصح لهذا المحب فيقول له: **(في هذه الحياة تحاشى التطرف بجميع أنواعه)**.

يصف الداء وعواقبه، ثم يصف الدواء. فالداء هنا هو التطرف ولم يستثني شمس أي نوع منه. فالتطرف يعني: (القهر والظلم والبغي والقتل والخراب والسيطرة وعدم احترام القانون الإلهي....إلخ).

ويصف شمس العواقب بكلمة بسيطة جداً تحمل في داخلها كل المعاني، يقول شمس: **(لأنه سيحطم اتزانك الداخلي)**.

نعم فالتطرف يخرج الإنسان من كل خير ويدخله في كل شر، ويصير الإنسان أُلعوبة في يد الشيطان والهوى، ويفقد في النهاية إنسانيته وقلبه، ويفقد كل معاني الرحمة واللطف والعقلانية، ويصير متجرداً من جميع المشاعر وكأنه آلة لا تمت للبشرية بصلة.

ثم يصف شمس الدواء بقوله: **(فالصوفي لا يتصرف بتطرف، بل يظل متسامحاً ومعتدلاً على الدوام)**.

لقد استقى شمس دواءه من قوله تعالى: (وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ)[169]، وقد صفح النبيﷺ صفحاً جميلاً أبهر أهل زمانه وأبهر العالم إلى يومنا هذا، وذلك حين مكَّنه الله من أهل مكة الذين قتلوا أحبته وسرقوا أموالهم ودورهم، ونالوا على أيديهم أشد أنواع العذاب، وأرادوا قتله وأخرجوه من أحب البلاد إليه كارهاً، وحاربوه على مدار سنوات عدة، قتلوا خلالها عمه حمزة، وصفوة كبيرة من خاصته، ورغم ذلك فعندما فتح مكة، وسمع من يقول اليوم يوم الملحمة. رد عليه قائلاً: اليوم يوم المرحمة. ثم قال لأهل مكة: **(ما ترون أني فاعل بكم؟)**. قالوا : أخٌ كريم وابن أخ كريم. فقال لهم:**(اذهبوا فأنتم الطلقاء)**.

هكذا ضرب نبي الحب والرحمة أعظم الأمثلة في التسامح والحب والرحمة. والأمثلة كثيرة جداً ولكن المقام لا يسع ذكرها وتكفي الإشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

[169] سورة الحجر الآية: 85.

إن التسامح والاعتدال يدلان على سلامة القلب، والقلب السليم هو العامر بحب الله عز وجل، وعلى قدر التسامح والاعتدال يكون الحب.

يقول جلال الرومي: (العشق نبع.. فانغمر).

****

القاعدة الرابعة والعشرون

(مكانة الإنسان، والروح الإلهية)

((يتبوأ الإنسان مكانه فريدة بين خلق الله إذْ يقول الله :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي)[170]. **فقد خُلقنا جميعاً من دون استثناء لكي نكون خلفاء الله على الأرض.**

فاسأل نفسك كم مرة تصرفت كخليفة له ، هذا إن فعلت ذلك! تذكر أنه يقع على عاتق كل منا اكتشاف الروح الإلهية في داخله حتى يعيش وفقها)).

[170] سورة الحجر جزء من الآية 29.

التأصيل

قال تعالى:(هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ ۖ)[171]

الشرح

يشير شمس كغيره ممن ذهبوا إلى تفسير النفخة الإلهية الواردة في قوله تعالى: (وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِى)،أنها نفخة من ذات الله تعالى،

ولذا فهو ناسوتي لاهوتي، والحقيقة أن النفخة الإلهية هي: روح التأييد، أو روح القوة، أو روح المحبة،أو روح النبوة،....إلخ. فهي تختلف بحسب من اصطفاه الله ولأي شيءٍ اصطفاه.

والأصل أنها نفخة فريدة يختص الله بها من يشاء من عباده، وهي ليست موقوفة على الأنبياء والمرسلين فالله تعالى يقول: (لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ

[171] **سورة فاطر الآية 39.**

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ)[172].

إذاً فهي لمن آمن بالله وعمل صالحاً واتبع أوامره ونواهيه مخلصاً.

ثم يعرجُ شمس إلى تذكير الإنسان بأن الله خلقه لكي يكون خليفته في الأرض ليعمرها ويملؤها بحب الله وتوحيده ومعرفته، فهل قام الإنسان بذلك؟ أم دعا إلى نفسه وانشغل بدنياه؟ أم زاد الأمر طيناً فصار يخرب ما أمره الله أن يعمره، ويقطع ما أمره الله أن يوصله؟!!.

يقول شمس: (بدلاً من أن يُفْنِي المتدينون المتعصبون ذواتهم في حب الله ويجاهدون أنفسهم، فهم يحاربون أناساً آخرين، يولدون موجة إثر موجة من الخوف، وينظرون إلى الكون كله بعيون يشوبها الخوف، ولا عجب أنهم يرون أشياء كثيرة يخافها الناس، فعندما يحدث زلزال أو جفاف أو تقع كارثة يعتبرون هذا دليلاً على غضب الله، وكأن الله لا يقول صراحة: (إن رحمتي سبقت غضبي)[173]، وعندما يغضبون من

---

[172] سورة المجادلة الآية 22.

[173] صحيح البخاري.

أحد لسبب أو لآخر فإنهم يتوقعون أن الله سبحانه وتعالى سيتدخل بالنيابة عنهم ويثأر من أجلهم، وتغمر حياتهم حالة متواصلة من المرارة والعداوة، ويلاحقهم سخط كبير أينما ذهبوا مثل غيمة سوداء، فيسود ماضيهم ومستقبلهم. يوجد شيء من الإيمان يجعل المرء غير قادر على رؤية الغابة لأنه يرى الأشجار. إن الدين بكليته أعظم وأعمق بكثير من الأجزاء الصغيرة المكونة له).

ثم يقول شمس في نهاية تلك القاعدة: **(إن فعلت ذلك تذكر أنه يقع على عاتق كل منا اكتشاف الروح الإلهية في داخله حتى يعيش وفقها)**.

يقول جلال الرومي: (على الإنسان أن يكون باحثاً عن العشق).

أقول: إن اكتشاف الروح الإلهية هي بعينها البحث عن الحب القابع بداخلنا، إن من يصل إلى تلك الشرارة النورانية لا شك يمتلأ بالروح. ومن امتلأ بالروح صار سراجاً منيراً، ينير بالحب والرحمة والسلام عالمه الداخلي والخارجي.

يقول جلال الرومي: **(والنور الذي في العين فليس إلا أثراً من نور القلب، وأما النور الذي في القلب فهو من نور الله).**

****

القاعدة الخامسة والعشرون

(الجنة والنار يقبعان هنا الآن)

((إن جهنم تقبع هنا والآن وكذلك الجنة. توقفوا عن التفكير بجهنم بخوف، أو الحلم بالجنة، لأنهما موجودتان في هذه اللحظة بالذات، ففي كل مرة تحب تصعد إلى السماء، وفي كل مرة تكره أو تحسد أو تحارب أحداً، فإنك تسقط مباشرةً في نار جهنم)).

التأصيل

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)[174].

وقال تعالى: (ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ)[175].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى وجود جنة ونار في هذه اللحظة.

ويريد شمس أن يقول: إن الحب والخير جنة، والبغض والشر نار.

وقد ورد عند النفَّري أن: (الرؤيا جنة الجنة، والحجاب نار النار).

يقول شمس: (هل يوجد حجم أسوأ من العذاب الذي يعانيه الإنسان عندما يعرف في أعماق ضميره أنه اقترف ذنباً جسيماً؟

اسأل ذلك الرجل فإنه سيخبرك ما هي جهنم. هل توجد جنة أفضل من النعمة التي تهبط على الإنسان في تلك اللحظات النادرة من الحياة

---

[174] سورة البقرة الآية 35.
[175] سورة غافر الآية 46.

عندما تُفتح فيها مزاليج الكون ويشعر بأنه يمتلك كل أسرار الخلود ويتحد مع الله اتحاداً تاماً؟[176].

اسال ذلك الرجل فإنه سيخبرك ما هي الجنة. لماذا كل هذا القلق مما سيحدث بعد الحياة.. مستقبل متخيل، عندما تكون هذه اللحظة بالذات هي الزمن الوحيد الذي نستطيع أن تشعر حقاً بصورة كاملة بوجود الله وغيابه في حياتنا!!

أقول: وعلى هذا فالمحب الخير يعيش في جنة القرب والحب الإلهي حقيقة، يعرف ذلك من ذاق المحبة الإلهية، يقول تعالى:(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً)[177] والمبغض الحسود الشرير يعيش في نار البعد مع الشياطين والسفلة، يقول تعالى:(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ)[178].

---

[176] المقصود بالاتحاد التام هنا ليس والعياذ بالله أن العبد صار هو الله، بل هو إشارة إلى تلاشي وجود العبد الموهوم بعد أن أبدله الله بالحب صفاتاً غير صفاته كما ورد بالحديث الصحيح (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا).

[177] سورة النحل الآية 97.

[178] سورة طه الآية 124.

يقول جلال الرومي: (**العشاق حين يفنون في طريق العرفان يلاقون سلطان الأرواح، العشاق يموتون، وعيون أرواحهم مفتوحة تلتمس رؤية المعشوق الإلهي**).

****

القاعدة السادسة والعشرون

(لا ضرر ولا ضرار)

((**(لا ضرر ولا ضرار) ، كن رحيماً ولا تكن نماماً، حتى لو كانت كلماتك بريئة، لأن الكلمات التي تنبعث من أفواهنا لا تتلاشى، بل تظل في الفضاء النهائي إلى ما لا نهاية، وستعود إلينا في الوقت المناسب، إن معاناة إنسان واحد تؤذينا جميعاً، وبهجة إنسان واحد تجعلنا نبتسم**)).

التأصيل

قال تعالى:(مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا)[179].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ)**[180].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة الرائعة إلى قضاءٍ محمديّ بأنه: (لا ضرر ولا ضرار)، لقد تلقفها شمسٌ من بستان الأزهار المحمدية وأخرج لنا منها عسلاً من منحل محبته الرائقة حيث قال شمس: (كن رحيماً ولا تكن نماماً، حتى لو كانت كلماتك بريئة، لأن الكلمات التي تنبعث من أفواهنا لا تتلاشى، بل تظل في الفضاء النهائي إلى ما لا نهاية، وستعود إلينا في الوقت المناسب).

يقول رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[181].

---

[179] سورة المائدة الآية 32.

[180] حديث نبوي شريف ورد في سنن ابن ماجة ومسند أحمد وموطأ مالك.

إذاً فقد حذرنا شمسٌ مما حذر منه النبي سابقاً، وهو خطورة الكلمة التي ينطق بها الإنسان، فبالكلمة قامت حروب ومات الملايين من البشر، وبالكلمة يصير الكافر مؤمناً والمؤمن كافراً....إلخ.

وما أجمل الدواء المحمدي لهذه الآفة الخبيثة المهلكة للعباد والبلاد، قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)[182].

إذاً فالدواء لمن كان يرجوه هو كف الأذى والصمت، ولا أظن هناك أقل من تلك الدرجتين يستطيع أن يبدأ بهما من تعود الأذى، وكان بالشر ناطقاً.

أقول: إن سعادة الإنسان مرتبطة بإسعاد غيره والعكس بالعكس.

يقول جلال الرومي: (**إن هذه الحياة أقصر من شهقة وزفيرها، فلا تغرس بها سوى بذور المحبة**).

****

[181] صحيح البخاري.
[182] صحيح البخاري.

القاعدة السابعة والعشرون

(كل ما تقوله يعود إليك)

((يشبه هذا العالم جبلاً مكسواً بالثلج، يردد صدي صوتك، فكل ما تقوله سواء أكان جيداً أم سيئاً سيعود إليك على نحو ما، لذلك إذا كان هناك شخص يتحدث بالسوء عنك فإن التحدث عنه بالسوء بالطريقة نفسها يزيد الأمر سوءاً وستجد نفسك حبيس حلقة مفرغة من طاقة حقودة، لذلك انطلق وفكر طوال أربعين يوماً وليلة بأشياء لطيفة عن ذلك الشخص، إن كل شيء سيصبح مختلفاً في النهاية لأنك ستصبح مختلفاً في داخلك)).

التأصيل

قال تعالى:(إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا) [183].

[183] سورة الإسراء الآية 7.

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى ما أشار إليه في القاعدتين السابقتين، إلاّ أنه يتناول الأمر من زاوية مختلفة. إنه مصر تماماً على إيصال فكرته، وما ذلك إلاّ لأهميتها دون شك.

يضرب شمس مثلاً واقعياً بتردد صدى الصوت، ويقول: (كل ما تقوله سواء أكان جيداً أم سيئاً سيعود إليك على نحو ما).

وما دام الأمر هكذا فاحذر أيها المحب أن تتكلم بالسوء مقابل من كلمك بالسوء، فإن السوء سيعود إليك مرة أُخرى. وإن كان ولا بد من ردع معتدٍ فانتقي الكلمات القصيرة التي تدل على المراد.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ[184]،
فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ)[185].

---

[184] **(يقصدون الدعاء بالموت للنبي ﷺ). خذلهم الله.**

[185] **صحيح البخاري.**

ثم يصف شمس الدواء فيقول:(**فكر طوال أربعين يوماً وليلة بأشياء لطيفة عن ذلك الشخص، إن كل شيء سيصبح مختلفاً في النهاية لأنك ستصبح مختلفاً في داخلك**).

وهذا في الحقيقة دواءٌ محمدي الأصل: قال رسول اللهﷺ: (**مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلاّ ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ**) [186].

إن قلوب المحبين والصالحين خالية من الغل والحقد والكراهية، يصفهم النبيﷺ بقوله: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟، قَالَ: **هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**)[187].

وإنما الدواء الموصوف هنا هو لطالبي المحبة وطريق الله.

قيل لشمس بعدما نطق بتلك القاعدة: ولكنك تتشاجر مع الناس؟

---

[186] مصنف ابن أبي شيبة وحلية الأولياء لأبي نعيم ومسند الشهاب والديلمي في الفردوس.
[187] سنن أبي داود وصحيح ابن حبان.

فقال شمس: (إني لا أتشاجر معهم، بل أتشاجر مع إحساسهم بتضخم ذواتهم، وهذا أمر مختلف).

إن المعلم والمرشد الروحي كالطبيب الجراح الذي يقطع في الجسد بمشرطه لأجل إنقاذ المريض من الموت، دائماً ما يوصف بالقسوة، وينسى الناس دائماً أن هذه القسوة– بعد فضل الله تعالى– هي التي أبقت أحبتهم معهم وأنقذتهم من الموت المحقق. وهذا في الحقيقة حال شمس، وحال كل معلم ومرشد إلى الله تعالى.

يقول شمس:(كل من أُحبه أُقدم له الجفاء، فإن قبل ذلك كنت له).

ويقول جلال الرومي: (لا تجزع من جرحك..وإلا فكيف للنور أن يتسلل إلى باطنك؟).

****

القاعدة الثمانية والعشرون

(الماضي والمستقبل والحاضر)

((إن الماضي تفسير، والمستقبل وهم، إن العالم لا يتحرك عبر الزمن وكأنه خط مستقيم، يمضي من الماضي إلى المستقبل، بل إن الزمن يتحرك من خلالنا وفي داخلنا، في لوالب لا نهاية لها. إن السرمدية لا تعني الزمن المطلق بل تعني الخلود. فإن أردت اختيار النور الأبدي، فعليك أن تُخرج الماضي والمستقبل من عقلك وتظل داخل اللحظة الراهنة)).

التأصيل

قال تعالى:﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَىٰكُمْ﴾[188].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى بيان هام جداً يعد من أسس السلوك إلى الله عزوجل. يقول شمس:(الماضي تفسير)، الحقيقة أن الماضي يُعد

[188] **سورة الحديد الآية 23.**

سجن أهل الأحزان من النادمين على ما كان، ولا يفرمنه سجين، اللهم إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً ورضي بقضاء ربه وقدره.

ويقول:(**المستقبل وهم**)،وإذا كان الماضي سجن، فإن المستقبل سراب، يسعى إليه الحالمون، وأصحاب الآمال العريضة، طمعاً فيما سيكون، يقول ابن عطاء الله:(ما قادك شيء مثل الوهم). ولا ينجو من هذا الشَّرَك أحد، اللهم إلاّ من نظر إلى الموت بعين الاعتبار واتعظ.

ولذا فأشهر الأقوال عند أهل التزكية قولهم:(الصوفي ابن وقته)[189]

ويقول شمس: (اللحظة الحالية هي كل ما كان وكل ما سيكون).

ولهذا فإن من يعيش خارج اللحظة يكون أكثر الناس عرضة للحزن، والتوقف عن السير إلى الله عز وجل ولذا يقول ربنا تبارك وتعالى:(لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ).

ثم يشترط شمس على من يختار النور :(**إن أردت اختيار النور الأبدي، فعليك أن تُخرج الماضي والمستقبل من عقلك وتظل داخل اللحظة الراهنة**).

والناس في القرآن الكريم أربعة أصناف:

[189] وفي المثل: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

قال تعالى عن الصنف الأول: (مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا).

وقال تعالى عن الصنف الثاني: (وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ)[190].

وقال تعالى عن الصنف الثالث: (وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)[191].

وقال تعالى عن الصنف الرابع: (يُرِيدُونَ,وَجۡهَهُۥ)[192].

لا شك أن الصنف الأول ليس ممن يطلب النور الأبدي، وأما الصنف الثاني والثالث فهم ممن يطلبونه إلاَّ أن سيرهم إلى الله بطيء، وأما الصنف الرابع فهم أهله وطلاَّبه، فقد خرجوا عن الماضي فلا يحزنون عليه، وخرجوا عن المستقبل فلا يطمعون فيه، وخرجوا عن الدنيا والآخرة، فلا شغل لهم إلاّ مولاهم الذي تولاهم، أولئك هم أصحاب اللحظة الراهنة،وهم الفائزون بالنور الأبدي والحب السرمدي.

يقول شمس: (إنه قبل كل شيء على الإنسان أن يكون مؤمناً، وأن يعرف الله جيداً بكلية وجوده. الله الذي هو نور مُطلق، الذي هو غاية الحياة، ومعرفة القانون الأزلي والأبدي للوجود).

---

[190] آل عمران الآية 152.
[191] البقرة الآية: 201.
[192] الأنعام الآية: 52.

يقول جلال الرومي: (مذهب العشاق وملتهم هو الله).

****

القاعدة التاسعة والعشرون

(لا يعني القدر أن حياتك محددة بقدر محتوم)

((لا يعني القدر أن حياتك محددة بقدر محتوم، لذلك فإن ترك كل شيء للقدر وعدم المشاركة في عزف موسيقى الكون دليل على جهل مطلق (إن موسيقى الكون تعمر كل مكان وتتألف من أربعين مستوى مختلفاً)، إن قدرك هو المستوى الذي تعزف فيه لحنك، فقد لا تغير آلتك الموسيقية بل تبدل الدرجة التي تجد فيها العزف)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[193].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا

[193] سورة القمر الآية 49.

وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ:(**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ [194]:(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ)[195].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى القدر، فيقول: (**لا يعني القدر أن حياتك محددة بقدر محتوم، لذلك فإن ترك كل شيء للقدر وعدم المشاركة في عزف موسيقى الكون دليل على جهل مطلق**).

إن مسألة القدر يطول شرحها ولكن ببساطة شديدة هناك أمورٌ قدرها الله على الإنسان لا يستطيع أن يخرج عنها إن أحاطت به، ولا أن يدخل فيها إن خرجت عنه، وهذه الأمور المقدرة عليه لا يحاسب عليها، وحكمة القدر هنا هي رسائل من الحق إلى الإنسان ليعلم أن هناك قدرة عظيمة تتحكم في هذا الكون وفيه، وصاحب هذه القدرة هو الخالق الأعظم، ومن شاء آمن ومن شاء كفر، ومما يشير إلى هذه

[194] صحيح البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.
[195] سورة الليل الآيات 5و6و7و8و9و10.

الحالة هذه الرواية: (احْتَجَّ آدَمُ، وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ:أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى،فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى).

وهناك أمور يختارها الإنسان فيقدرها الله ويقضيها له كما أرادها، وهذه الأمور هي التي يحاسب عليها الإنسان، فهي اختياره وقراره. وليس أجمل ولا أيسر لفهم القدر من هذا الحديث الشريف: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ:(**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ [196]:(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

[196] صحيح البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ)[197].

أقول: إن من فهم هذا الحديث والشرح السابق فقد أدرك معنى القدر، وما أراد شمس إيصاله من هذه القاعدة أمرين:

الأول: أن ينبه من ينظرون إلى القدر من جهة واحدة وهي: أن العبد مفعولٌ به، فلا فائدة من اجتهاده وطلبه للنور والحب والمعرفة.

والثاني: أن يرشد إلى طريقة التعامل مع القدر فيقول: **(فقد لا تغير آلتك الموسيقية بل تبدل الدرجة التي تجد فيها العزف)**.

أي: أنك لا تستطيع أن تغير القدر المحتوم، ولكن يمكنك أن تسير مع القدر في تناغم تام، فما يسره الله لك شكرته عليه، وما منعك عنه رضيت به لعلمك أنه لا يقضي لك إلاّ خير، وتستمر على هذا المنوال تبحث عن الحب الإلهي وتطلبه، فإذا ما منعك مانع عنه من باب فاطرق باباً آخر، حتى يفتح الله لك بابه قريباً.

[197] سورة الليل الآيات 5و6و7و8و9و10.

يقول سيدي أبي العباس المرسي: (الراحة في الاستسلام إلى الله تعالى وترك التدبير معه. وهو العبودية).

يقول جلال الرومي: (هكذا أود أن أموت في العشق الذي أكنه لك، كقطع سحب تذوب في ضوء الشمس).

****

القاعدة الثلاثون

(لا يوجد إلاّ واحد)

((إن الصوفي الحق هو الذي يتحمل بصبر حتى لو أتُّهم باطلاً وتعرض للهجوم من جميع الجهات، ولا يوجه كلمة نابية واحدة إلى أي من منتقديه، فالصوفي لا ينحى باللائمة على أحد. فكيف يمكن أن يوجد خصوم أو منافسون أو حتى آخرون في حين لا توجد نفس في المقام الأول؟ كيف يمكن أن يوجد أحد يلومه في الوقت الذي لا يوجد فيه إلا "واحد"؟)).

التأصيل

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[198].

الشرح

[198] سورة الزمر الآية: 62.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى مقام الصبر الجميل، وقد تكلمنا عليه في قاعدة سابقة، إلاّ أن شمساً هنا يشير إلى سر صبر الصوفي وتحمله الأذى، وقد كان الصبر الجميل وصف النبيﷺ.

فقد كان كما ورد أنهﷺ: (**لا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا**، فَإِذَا نوزع الْحَقَّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ يَنْتَصِرُ لَهُ، **ولا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلا يَنْتَصِرُ لَهَا**،)[199].

ويقول شمس إن سر صبر الصوفي أنه: **(لا توجد نفس في المقام الأول)** وتلك إشارة إلى فناء نفس الصوفي، وفناء الصوفي يحصل له من ثلاثة أمور هي: **((شدة المحبة والمعرفة والأنوار المتتابعة على قلبه))**، فالصوفي الحق لا يرى فاعلاً في الكون إلاّ الله، لقوله تعالى: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ)[200].

وقد ورد مثل ذلك المشهد التوحيدي عند نبينا الكريمﷺ حيث يقول أَنَسٍ رضي الله عنه: (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ تِسْعَ سِنِينَ، **فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ**)[201].

---

[199] إتحاف الخيرة المهرة.
[200] سورة الصافات الآية: 96.
[201] صحيح مسلم.

يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي:(إياك أن تقف مع الخلق، بل انف المضار والمنافع عنهم، لأنها ليست منهم وأشهدها من الله تعالى فيهم، وفر إلى الله تعالى منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم أو لك ولهم، ولا تخف خوفاً تغفل به عن الله أو ترد القدر إليهم فتهلك).

إذاً فشمس يحث الأحبة بطريق غير مباشر إلى تحمل الأذى والصبر الجميل ويصف لهم الدواء النافع وهو رؤية الفاعل الحقيقي، والعمل على إفناء النفس، فبفنائها يزول الباطل ولا يبقى إلا الحق.

يقول جلال الرومي:(عندما يتراكم عليك كل شيء وتصل إلى نقطة لا تتحملها احذر أن تستسلم ففي هذه النقطة يتم تغيير قدرك).

تكلم أبو حمزة[202]، في جامع طرسوس على الناس فقبلوا منه وأعجبوا بكلامه، فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة وقال: (لبيك لبيك). فنسبه الناس إلى الزندقة، وقالوا: حلولي زنديق، فشهدوا عليه، وأُخْرِج من البلد، وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع: هذا فرس الزنديق.

قال أبو عمرو البصري– وكان حاضراً: اتبعته والناس وراءه يُخرجونه من باب الشام، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

[202] هو: محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، شيخ الشيوخ. راجع سير أعلام النبلاء للذهبي.

لك من قلبي المكان المصون كل صعب علي فيك يهـون [203]

يقول جلال الرومي: **(إن العشاق يطلبون الموت والفناء كما يطلب الشاعر القافية والمريض الشفاء، والمحبوس الخلاص، والأطفال يوم الجمعة).**

****

القاعدة الواحد والثلاثون

(وسيلة القُرب من الحقيقة)

((إذا أرادت أن تقوي إيمانك فيجب أن تكون ليناً في داخلك، لأنه لكي يشتد إيمانك ويصبح صلباً كالصخرة يجب أن يكون قلبك خفيفاً كالريشة، فإذا أصبنا بمرض، أو وقعت لنا حادثة، أو تعرضنا لخسارة، أو أصابنا خوف بطريقة أو بأخرى، فإننا نواجه جميعاً الحوادث التي تعلمنا كيف نصبح أقل أنانية، وأكثر حكمة، وأكثر عطفاً، وأكثر كرماً، ومع أن بعضاً يتعلم الدرس ويزداد رقة واعتدالاً، يزداد آخرون قسوة. إن الوسيلة التي تُمَكِّنُك من الاقتراب من الحقيقة أكثر تكمن في أن يتسع قلبك لاستيعاب البشرية كلها، وأن يظل فيه متسع لمزيد من الحب)).

التأصيل

[203] حلية الأولياء؛ لأبي نعيم الأصفهاني.

قال رسول اللهﷺ:(حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ) [204].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أمرين من الأهمية بمكان:

الأول: السبيل لتقوية الإيمان، ويصف ذلك باللين، نعم. الإيمان إنما يقوى باللين لا بالشدة، بالرحمة لا بالقسوة، بالصبر لا بالضجر.

قال رسول اللهﷺ:(حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ) [205]

ويشير شمس إلى عجيبة بشرية وهي أن بعض الناس كما قال شمس: (ومع أن بعضاً يتعلم الدرس ويزداد رقة واعتدالاً، يزداد آخرون قسوة)

أقول: وهذا الأمر مُشاهد إلى اليوم يقول تعالى:(وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[206] .

---

[204] مسند أحمد وصحيح ابن حبان.

[205] مسند أحمد وصحيح ابن حبان.

[206] سورة البقرة جزء من الآيتين 73و74.

يقول شمس: (هكذا هي الحياة. فعندما تخبر أحدهم الحقيقة، فإنه يكرهك. وكلما تحدثت عن الحب، ازدادت كراهيته لك).

يقول رسول اللهﷺ:(...**وَإِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ كَثِقَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ كَخِفَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،...)[207].

لم يشر شمس إلى هذه الآفة اعتباطاً، بل إن شمساً يضع يده على الداء العضال، فآفة ازدياد القسوة في القلب بعد المحن من قواطع الطريق الأكيدة، إذْ إنها تؤدي إلى الضجر، والكفر بالقدر الذي هو من أصول الإيمان الستة، ولذا بدأ شمس بالكلام عن تقوية الإيمان.

وأما الأمر الثاني: سبيل الاقتراب من الحقيقة، يقول شمس: **(إن الوسيلة التي تُمَكِّنُك من الاقتراب من الحقيقة أكثر تكمن في أن يتسع قلبك لاستيعاب البشرية كلها، وأن يظل فيه متسع لمزيد من الحب)**.

واتساع القلب: إنما يكون بازدياد الإيمان في القلب، فكلما امتلأ القلب بصفات الجمال:(كالرحمة، والرضا، والصبر، واللين .....إلخ)، ازدادت المحبة في القلب واتسع، والعكس بالعكس.

---

[207] الطبراني في معجمه.

إذاً فالاقتراب من الحقيقة يلزمه أمران :(سعة القلب والمزيد من الحب).
وكلاهما مرتبطٌ بالآخر ارتباط النفس بالجسد، فهما كالسيارة والبنزين، فبكلاهما يقترب الإنسان من الحقيقة الإلهية المنشودة.

يقول جلال الرومي: (العشق إكسيرٌ ودواء للأمراض الأخلاقية والنفسية التي تصيب البشر).

****

القاعدة الثانية والثلاثون

(يجب ألاَّ يحول شيء بينك وبين الله)

((يجب ألا يحول شيء بين نفسك وبين الله، لا أئمة، ولا قساوسة، ولا أحبار، ولا أي وصي آخر على الزعامة الأخلاقية، أو الدينية، ولا السادة الروحيون، ولا حتى إيمانك، آمن بقيمك، ومبادئك، لكن لا تفرضها على الآخرين)).

التأصيل

قال تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[208].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أمرٍ مهم قد يفهمه البعض خطأً، إذْ فهموا من كلام شمس أنه يَحُث على عدم اتخاذ الأئمة والصالحين مرشدين في طريق الحق والعشق.

وهذا غير صحيح قطعاً، فما وصل شمسٌ إلاّ بهم؟! يقول تعالى عنهم: (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ)[209].

أقول: يجب علينا إذا أردنا أن نفهم كلام شمس أن نعرف أولاً ما هي مهمة السادة الأولياء تجاه طالبي طريق الحق والعشق؟.

إن مهمة هؤلاء السادة هي: الإرشاد والتوجيه وتزكية النفس حتى تستطيع أن تتخلص من الموانع والقواطع التى تعيق سيرها إلى الله عز وجل، فطالبو الحق والعشق يأتون لهؤلاء السادة بمئات العيوب

---

[208] سورة البقرة الآية 186.
[209] سورة الأنعام الآية 90.

والحجب والأمراض. ويتمثل دور هؤلاء السادة بعلاج تلك النفوس بما عالجهم به أسلافهم الذين أخذوا بأيديهم من قبل إلى طريق الحق.

وإذا كان الإنسان لا يمكنه أن يجري عملية جراحية لنفسه –رغم أن جسده ظاهرٌ له ومرضه بينٌ ومحددٌ– فما بالنا بمن يعالج تلك النفوس التي لا تُرى، والتي أمراضها أخفى منها فهي تقبع في الأعماق!

قال أبو بكر الطمستاني[210]:(لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنما يمكن الخروج منها بالله).

فإذا طَهُر طالب الحق والعشق من الأمراض والعلل، وتطهرت نفسه بماء الحب، وسلكت مسالك الصالحين، وعرفت أول الطريق وغلب عليها الشوق للعلي الأعلى، وعلت هممها، واجتازت العوائق والموانع كافة، وتجهزت وتسلحت بالتقوى، هنا تنتهي مهمة الولي المرشد معها، فقد حَصَّلت كل ما يمكن تحصيله بطريق الواسطة الولائية التي هي مفتاح الواسطة النبوية، وكذلك حصلت كل ما يمكن تحصيله بطريق الواسطة النبوية التي هي مفتاح باب مدينة الحب الأبدي والنعيم السرمدي، يقول الإمام الجنيد رحمه الله يقول الله عز

[210] هو: أحد علماء أهل السنة، وأعلام التصوف في القرن الرابع. انظر طبقات الصوفية للسلمي.

وجل لرسوله: (وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق أو استفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك)[211].

هنا ينتهي سيرها بطريق الوسائط، ويصير الله هو الرفيق لها في طريقها إليه. ومن هنا فقط يبدأ كلام شمس حيث يقول:(**يجب ألا يحول شيء بين نفسك وبين الله، لا أئمة، ولا قساوسة، ولا أحبار، ولا أي وصي آخر على الزعامة الأخلاقية، أو الدينية،ولا السادة الروحيون، ولا حتى إيمانك**).

يقول جلال الرومي: (إنه طريقك وحدك قد يرافقك فيه أحدهم لفترة من الوقت، ولكن لن يكمله أحدٌ غيرك).

ففي هذا المقام تنطلق النفس في رحلة الأنوار، طريق الحق والعشق والفناء، أنيسها ورفيقها في ليلها ونهارها، هو الله وحده.

يقول شمس عن هذه الرحلة:(ليكن الله، والله وحده دليلك، تعلم الحقيقة، يا صديقي، لكن احرص على ألاَّ تصنع من الحقائق التي تتكون لديك أوثاناً). يريد أن يقول لذلك المسافر في عالم الأنوار لا تقف مع ما يتجلى لك وترضى به، فإن هدفك هو الله، والله وحده.

---

[211] جلاء الأفهام . ابن القيم.

ويصل شمس في تحذيره إلى أقصى درجاته حيث يصف كل ما يُعرض على طالب الله–سوى الله– بالأوثان!!. يقول ابن عطاء الله:(**ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كُشف لها إلاّ ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك. ونادتهُ حقائقها**:(إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)[212].

ويأخذنا شمس من وادي العشق والسكر إلى وادي الحب والصحو، فيقول:(**آمن بقيمك، ومبادئك، لكن لا تفرضها على الآخرين**).

وهي قاعدة شرعية لا شك فيها، **قال تعالى**:(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ) لج لمج .

يقول جلال الرومي: (**مذهب العشاق وملتهم هو الله**).

****

القاعدة الثالثة والثلاثون

(الوعي بالعدم هو الذي يبقينا نواصل الحياة)

((على الرغم من أن المرء في هذا العالم يجاهد ليحقق شيئاً، ويصبح شخصاً مهماً فإنه سيخلف كل شيء بعد موته، إنك تهدف إلى بلوغ المرحلة العليا من

---

[212] سورة البقرة الآية: 102.
[213] سورة البقرة الآية: 256.

العدم. عش هذه الحياة خفيفة وفارغة مثل الرقم صفر،إننا لا نختلف عن أصيص الزرع، فليست الزينة في الخارج، بل الفراغ في داخلنا هو الذي يجعلنا نقف منتصبي القامة. مثل هذا تماماً، فالوعي بالعدم وليس ما نتطلع إلى تحقيقه هو الذي يبقينا نواصل الحياة)).

التأصيل

قال تعالى:(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) [214]، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [215].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى مقام الفناء(الرقم صفر) ومقام الفناء هو: باب البقاء، وهو: مسجد اللقاء.

ويشير شمس إلى تلك الآمال الدنيوية الكثيرة التي سرعان ما ستتلاشى ولا يبقى منها لطالبها شيء بعد الموت.

[214] سورة الرحمن الآية: 26.
[215] سورة القصص الآية: 88.

والفناء المشار إليه لا يتحقق لطالب الحق إلاّ بأمرين: (العلم والحب) يصاحبهما أمران (التوفيق والقسمة الأزلية).

فأما العلم:فيتحقق للطالب بمعرفة قوله تعالى؛(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)، وبمعرفة قوله تعالى؛(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ). فبهما يوقن الطالب أن حقيقته هي أنه لا شيء وأن الرقم الذي يرمز له هو الرقم(**صفر**).

بل إن الرقم(**صفر**) هو حقيقة كل موجود، إذْ إن الله وحده هو واجب الوجود الواحد الأحد، الذي بفضله ورحمته خلع على الموجودات صفة الوجود. إذْ إن الوجود لله صفة أزلية، وللموجودات صفة وهبية.

وأما الحب: فيتحقق للطالب بسبب معرفة الله عز وجل ومعرفته لله جاذبة لمحبته، فحينما يقرأ الطالب قوله تعالى(فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)، وقوله تعالى:(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ)، ويكون ممن قسم له في الحب قسمة تنجذب نفسه إلى مولاه، فيتبع هداه ويقبل على مولاه أشد إقبالٍ؛ فيذوق أسرار قوله الحق: (**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ** كُنْتُ

سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ....)[216].

قال الشيخ يوسف بن أسباط:(من انقطع عن الأسباب الشاغلة عن الله اتصل بالأسباب الشاغلة بالله، ومن طلب رضاء مولاه لا يبالي بسخط ما سواه، ومن كان من الله قريباً كان مع غيره غريباً، ومن أراد أن يشرب من محبة الله شربة فليشرب من بغض غير الله جرعة، ومن سكن قلبه إلى شيء فليس من الله في شيء).

أقول: إن قانون المحبة الإلهية مفاده من تعلق بالفاني فنى، ومن تعلق بالباقي بقى، والمراد هو حب الله عز وجل ولقائه.

يقول ابن عطاء الله: (**لا تتعد نيةُ همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال**).

إذاً فبالعلم والمحبة الذي يصاحبهما التوفيق والقسمة الأزلية يصل الطالب إلى الفناء الذي هو حقيقته وحقيقة كل موجود.

---

[216] صحيح البخاري.

يقول شمس:(عندما تحب الله، وعندما تحب كل مخلوقاته من أجله وبفضله؛ تذوب جميع الانقسامات وتختفي. ومن هنا لا يعود هناك شيء يُدْعى "أنا" وكل ما تبلغه هو صفر كبير يغطي كيانك كله).

رؤي منصور بن عمار في المنام بعد وفاته

فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: أوقفني بين يديه وقال لي: بماذا جئتني يا منصور؟

قلت: بست وثلاثين حجة.

قال: ما قبلت منها شيئاً، ولا واحدة. بماذا جئتني يا منصور؟

قلت: جئتك بثلاثمائة وستين ختمه للقرآن.

قال: ما قبلت منها واحدة. فبماذا جئتني يا منصور؟

قلت: جئتك بك.

قال سبحانه: الآن جئتني .. اذهب قد غفرت لك.

ولله در القائل:

قد كنت أحسب أن وصلك يُشترى بنفائس الأمـوال والأربـاح

وظننت جهلاً أن حبك هين تفنى عليه كرائم الأرواح

حتى رأيتك تجتبي وتخص من تختاره بلطائف الإمناح

فعلمت أنك لا تُنال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناحي

وجعلت في عش الغرام إقامتي فيه غدوي دائماً ورواحي

يقول تعالى: (مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)[217].

يقول أحد العارفين بالله عن هذه الآية الكريمة:(لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً لِلّقاء تَسْكُنُ به قلوبهم).

يقول جلال الرومي: **(ما دمت أنت من تقبض الروح، فالموت أحلى من الشهد,وما دمت ساكون معك ، فالموت أحلى من الروح)**.

****

[217] سورة العنكبوت الآية: 5.

القاعدة الرابعة والثلاثون

(القوة الحقيقية في الاستسلام)

(لا يعني الاستسلام أن يكون المرء ضعيفاً أو سلبياً ولا يؤدي إلى الإيمان بالقضاء والقدر أو الاستسلام، بل علي العكس تماماً، إذ تكمن القوة الحقيقية في الاستسلام. القوة المنبعثة من الداخل. فالذين يستسلمون للجوهر الإلهي في الحياة يعيشون بطمأنينة وسلام،حتى عندما يتعرض العالم برمته إلى اضطراب تلو الاضطراب).

التأصيل

قال تعالى :(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا)[218].

وقال تعالى: (وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا)[219].

الشرح

---

[218] سورة النساء الآية: 65.

[219] سورة الأحزاب الآية: 22.

يشير شمس في هذه القاعدة إلى تصحيح مفهوم الاستسلام، والاستسلام في اللغة هو:الخضوع والانقياد بدون مقاومة وهو:التسليم.

إذاً كيف يكون المرء خاضعاً ومنقاداً بلا أي مقاومة ولا يكون ضعيفاً وسلبياً؟!. وكيف تكون القوة الحقيقية في الاستسلام؟!.

يوضح شمس ذلك كله في ثقة تامة فيقول: **(الذين يستسلمون للجوهر الإلهي في الحياة يعيشون بطمأنينة وسلام)**.

إذاً فقوة الاستسلام تنبع من التسليم لله القوي العزيز، ومن هذا النبع الإلهي يستمد المؤمن قوته وعزته. وللتسليم شواهد منها: الرضا بقضائه وحسن الظن بما قدره له، ولا يستسلم إلاّ المحب لحبيبه.

إن غير المؤمن إذا ما تعرض لأزمة أو محنة؛ سريعاً ما يلجأ إلى كل السبل العقلية المشروعة وغير المشروعة، حتى ينجو منها، وعقله هو قائده ودليله لا غير، فيظل يصارع القدر علَّه يصرعه وهيهات هيهات، فما شاءه الله لا بد وأن يكون رضي بذلك الناس أو كرهوا.

أما المؤمن إذا ما تعرض لأزمة أو محنة فسريعاً ما يلجأ إلى الله .

يقول تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ)[220].

إن المؤمن يعلم أن كل شيء بإرادة الله عز وجل، فهو يلجأ إليه في محنته ولا يقاوم قدره، هذا برغم أخذه بالأسباب إلاّ أن عينه على المسبب مولاه وحبيبه، فبرغم المحن تراه مطمئناً قوياً، إذا ابتلي رضي وصبر، وإذا فرج عنه حمد وشكر، هكذا حال المؤمن يحيا في تناغم تام ببركة التسليم ورؤية الفاعل الحقيقي في الكون وهو الله عز وجل.

قال العارف بالله محيى الدين ابن عربي:(إذا ترادفت عليك الغفلات وكثرة النوم، فلا تسخط ولا تلتفت لذلك، فإن من نظر الأسباب مع الحق أشرك. كن مع الله بما يريد، لا مع نفسك بما تريد، لكن لا بد من الاستغفار).

وقد بين لنا الحبيبﷺ ذلك كله في قوله: **(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ**

[220] سورة البقرة الآيات: 156و157و158.

بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[221].

اشتهر عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه كان مجاب الدعوة بعد أن دعا له رسول الله ﷺ بذلك.. قال أبو طالب المكي في(قوت القلوب):

لما قدم سعد إلى مكة وكان قد كف بصره، جاءه الناس يهرعون، كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة. فسأله سائل وقال: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك؟.

فتبسم ثم قال: (يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري).

أقول: الحب هو رأس مال المؤمن، ولولا فضل الله عليه ورحمته ومحبته السابقة، ما أحب ولا رضي ولا صبر ولا استسلم.

يقول جلال الرومي: (العشق نبع.. فانغمر).

****

القاعدة الخامسة والثلاثون

[221] صحيح مسلم.

(مرحلة الكمال والإنسان المثالي)

((في هذا العالم ليست الأشياء المتشابهة أو المنتظمة، بل المتناقضات الصارخة هي ما يجعلنا نتقدم خطوة إلى الأمام. من داخل كل منا يوجد جميع المتناقضات في الكون، لذلك يجب على المؤمن أن يلتقي بالكافر القابع في داخله، وعلى الشخص الكافر أن يتعرف على المؤمن الصامت في داخله، وإلى أن نصل إلى اليوم الذي يبلغ فيه المرء مرحلة الكمال، مرحلة الإنسان المثالي، فإن الإيمان ليس إلا عملية تدريجية ، ويستلزم وجود نظيره: الكفر)).

التأصيل

قال تعالى:(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [222]

.

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى نظرية الأضداد، فبالظلمة يعرف قيمة النور، وبالموت يعرف قيمة الحياة، وبالفقد يعرف قيمة الوجد، وبالشر يعرف قيمة الخير، وهكذا في كل شيء.

[222] سورة الملك الآية 2.

يقول تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ) [223].

يقول شمس: **(ليست الأشياء المتشابهة أو المنتظمة، بل المتناقضات الصارخة هي ما يجعلنا نتقدم خطوة إلى الأمام)**.

يشير شمس بهذه الكلمات إلى أن (الحياة التي نحياها) لا تؤثر في الناس بالإيجاب أو السلب إنما (الموت) هو الذي يؤثر فيهم أشد التأثير، وكذلك (وجود النعم) لا يؤثر في الناس بل (زوالها) هو الذي يؤثر فيهم، ولذلك قيل:(نعمة الله مزهود فيها حتى إذا فقدت عرفت).

ثم يتحدث شمس عن الكمال الإنساني وكيف يرتبط بالصدق التام حيث يقول: **(يجب على المؤمن أن يلتقي بالكافر القابع في داخله، وعلى الشخص الكافر أن يتعرف على المؤمن الصامت في داخله)**.

[223] سورة فاطر الآيات: 19و20و21و22.

إشارة إلى قول النبي ﷺ:(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ)[224].

وعلى هذا فبداخل كل منا مؤمن وكافر، فإن تمكن الكافر الداخلي من المؤمن صار الإنسان كافراً، وإن تمكن المؤمن الداخلي من الكافر صار الإنسان مؤمناً، فشمس يريد أن لا نغفل عن تلك الحقيقة، ونتعامل معها بصدق حتى يصير الداخل كالخارج والخارج كالداخل شيئاً واحداً، وتلك أولى مقامات اليقين. يقول شمس: **(الإيمان ليس إلا عملية تدريجية ، ويستلزم وجود نظيره : الكفر)**.

فالإيمان مسألة تدريجية للوصول إلى مرحلة الكمال الإنساني، ونظرية (الإنسان الكامل) من أشهر قضايا التصوف، حيث يصفونه بالوريث المحمدي،والقطب الغوث،والمحب الكامل،صاحب الوقت...إلخ.

والكمال الإنساني هو الذي عليه مدار بقاء الوجود، فهو مقام العاشق المحقق. قال رسول اللهﷺ: **(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)**[225].

---

[224] صحيح البخاري.
[225] صحيح البخاري ومسلم.

وأول من حاز هذا المقام الفريد كاملاً هو الحبيب الأعظم والنبي الأكرم سيدنا محمدﷺ القائل: **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ. أَلا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلا فَخْرَ)** [226].

فرسول اللهﷺ هو الإنسان الكامل بأسبقيته للكل[227]، ومن ثم بعده تأتي الأنبياء فهم أكمل الخلق، ثم يأتي من بعدهم ورثتهﷺ من أولياء أمته الكاملون، ثم يأتي من بعدهم ورثة الأنبياء عليهم السلام.

يقول جلال الرومي: **(العشاق حين يفنون في طريق العرفان يلاقون سلطان الأرواح، العشاق يموتون، وعيون أرواحهم مفتوحة تلتمس رؤية المعشوق الإلهي)**.

****

القاعدة السادسة والثلاثون

[226] سنن الترمذي.

[227] **(سئل رسول الله متي كنت نبياً؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد)** مسند أحمد والمستدرك للحاكم.

(خلق الله هذا العالم على مبدأ التبادل)

((لقد خُلِق هذا العالم على مبدأ التبادل، فكل امرئٍ يكافأ على كل ذرة خير يفعلها، ويعاقب على كل ذرة شر يفعلها. لا تخف من المؤامرات أو المكر، أو المكائد التي يحبكها الآخرون، وتذكر أنه إذا نصب لك أحد هم شركاً، فإن الله قد فعل ذلك. فهو المخطط الأكبر، إذْ لا تتحرك ورقة شجرة من دون علمه[228]، آمن بذلك ببساطة وبصورة تامة، فكل ما يفعله الله يفعله بشكل جميل)).

التأصيل

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ)[229]

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى مسألة شرعية يجمع بينها وبين مسألة من مسائل الحقيقة، فأما المسألة الشرعية فهي قوله: **(فكل أمرء يكافأ على كل ذرة خير يفعلها، ويعاقب على كل ذرة شر يفعلها)**.

---

[228] إشارة إلى قوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) سورة الأنعام الآية 59.

[229] سورة الزلزلة الآيتان: 7و8.

وهي مستمدة من قوله تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ).

وأما مسألة الحقيقة، فهي قوله:(**وتذكر أنه إذا نصب لك أحد هم شركاً، فإن الله قد فعل ذلك**) .

وهي مستمدة من قوله تعالى:(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [230].

قال أبوعبد الله الجلاء[231]:(ومن رأي الأفعال كلها من الله فهو موحد).

وقال الإمام الجنيد:(التوحيد هو: علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته.. لا ثاني معه.. ولا شيء يفعل فعله.. أن تعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع.. ولا يعطي ولا يمنع.. ولا يُسقم ولا يُبري .. ولا يرفع ولا يضع.. ولا يرزق ولا يميت ولا يحيي.. ولا يُسكن ولا يحرك غيره ﷻ. التوحيد هو: معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له. إذا فعلت ذلك فقد وحدته.. وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحداً في أفعاله.. إذ ليس شيء يفعل أفعاله).

---

[230] سورة الصافات الآية 96.

[231] هو: أحمد بن يحي البغدادي، صحب ذا النون وأبا تراب النخشبي. انظر حلية الأولياء .

وقال سيدي إبراهيم الدسوقي:(احذر أن تدعي لك معاملة خالصة أو حالاً، واعلم أنك إن صُمت فهو الذي صومك، وإن قمت فهو الذي أقامك، وإن عملت فهو الذي استعملك، وإن رأيت فهو الذي أراك، وإن شربت فهو الذي سقاك، وإن اتقيته فهو الذي وقاك، وإن ارتفعت فهو الذي رقى منزلتك، وإن نلت فهو الذي نولك، وليس لك في الوسط شيء، إلا أن تعترف بأنك عاص ما لك حسنة واحدة، وهو صحيح. ومن أين لك حسنة وهو الذي أحسن إليك، وهو الحاكم فيك، وإن شاء قبلك وإن شاء ردك).

أقول: وبيان الجمع بين فعل الحق وعمل الخلق هو عين ما ذكرناه في شرح القدر، ولكن نزيد فيها بياناً يسيراً: فبما أن الإنسان لا حول له ولا قوة في تحقيق ما يريده من خير أو شر، فيمده الله بحوله وقوته فيما شاء الله أن يكون، يقول تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [232].

يقول شمس: **(آمن بذلك ببساطة وبصورة تامة لكل ما يفعله الله بشكل جميل).**

---

[232] سورة الإسراء الآية 20.

إنه توجيه يعرفه أهل المحبة قاطبة ورجال التزكية جميعاً، ولأنهم لا يرون فاعلاً في الوجود غير الله. وكل ما يفعله المحبوب محبوب.

قال بشر الحافي: مررت برجل وقد ضُرب ألف سوط في شرقية بغداد، ولم يتكلم بكلمة، ثم حُمل إلي الحبس، فتبعته

فقلت له: لم ضُربت؟

فقال: لأني عاشق.

فقلت له: ولم سكت؟ ..أي: حينما ضرب

قال: لأن معشوقي كان بحذائي ينظر إليَّ.

يقول جلال الرومي: (العشق نهر. اشرب منه).

****

(لكل شخص وقت للحب ووقت للموت)

((إن الله ميقاتي دقيق إنه دقيق إلى حد أن ترتيبه وتنظيمه يجعلان كل شيء على وجه الأرض يتم في حينه، لا قبل دقيقة ولا بعد دقيقة، والساعة تمشي بدقة شديدة بالنسبة للجميع بلا استثناء. فلكل شخص وقت للحب ووقت للموت)).

التأصيل

قال تعالى:(إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا)[233].

وقال تعالى:(وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٖ)[234].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى الوقت، يقول الصوفية عن الوقت:(الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)، فإنهم وإن كانوا يعيشون اللحظة الحالية فقط، إلاّ أن الوقت عندهم هو كل شيء، ولا يسمحون للسالكين بضياعه قط، فهو عندهم يُعد بالأنفاس.

[233] سورة النساء الآية 103.
[234] سورة الرعد الآية 8.

يقول شمس:(**إن الله ميقاتي دقيق إنه دقيق إلى حد أن ترتيبه وتنظيمه يجعلان كل شيء على وجه الأرض يتم في حينه، لا قبل دقيقة ولا بعد دقيقة**).

وهذا حق وجلي في آيات كثيرة جداً منها قوله تعالى: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۞ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۞ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ) [235].

ويضرب شمس مثلاً جميلاً يتبعه بحقيقة لا يمكن إنكارها ولا الاحتيال عليها يقول شمس: (**والساعة تمشي بدقة شديدة بالنسبة للجميع بلا استثناء. فلكل شخص وقت للحب ووقت للموت**).

يريد شمس أن يقول: إن كل شيء يقع في الكون ليس وليد الصدفة.

وإنما يمضي وَفْقَ توقيت محددٍ له، قدره الله تقديرا. وهذا القدر يمضي على الجميع مؤمنين كانوا أو كافرين، راضين كانوا أم كارهين، إن الوقت يمر على الجميع، وما دقات قلب الإنسان إلاَّ وقت من العمر ينفد، مثل المنبه الذي يعده الإنسان فتظل دقاته في عدٍّ تنازلي حتى

[235] سورة يس الآيات 38و39و40.

يأتي الوقت المحدد فينطلق الجرس، وكذلك من جاءت ساعته تنطلق روحه مغادرة ذلك الجسد لتلتقي بمصيرها الأخير، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فعلى الإنسان أن يستثمر كل دقيقة في عمره وليس استثمارٌ أعظم من إنفاق ذلك العمر في حب الله تعالى. الحب الذي من أجله خلقه الله، وخلق من أجله الوجود كله.

لعل هذه هي الرسالة التي أراد شمس قولها من خلال هذه القاعدة، فالوقت جندٌ من جنود الله لا يفرق بين محب ومبغض، ولا بين مؤمن وكافر، إلاّ أن العاشق دائماً خارج الوقت لكونه دائماً مع الله تبارك وتعالى.

وكذلك كل من تعلق بالحُب الإلهي، خرج عن الزمان والمكان، فلا يموت كما يموت الناس وإن مات، فهو مع الناس بجسده، ولكن قلبه وروحه ونفسه مع مولاه. تقول السيدة رابعة:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

يقول جلال الرومي: **(مَنْ لا يركض إلى فتنة العشق يمشي طريقاً لا شيء فيه حي)**.

****

القاعدة الثامنة والثلاثون

(هل أنا مستعد لتغيير الحياة التي أحياها)

((ليس من المتأخر مطلقاً أن تسأل نفسك، هل أنا مستعد لتغيير الحياة التي أحياها؟ هل أنا مستعد لتغيير نفسي من الداخل؟)) .

التأصيل

قال تعالى:(فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ). [236] [237]

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلي التحفيز على التغير، ويقصد التغير الداخلي، فمن لم يتغير من داخله لم تتغير حياته قط. ولكن أي تغيير يريده؟..يقول شمس:(وحتى لو كان قد تبقى من حياتك يوم واحد يشبه اليوم الذي سبقه فإن ذلك يدعو للرثاء. ففي كل لحظة، ومع كل نفس جديد، يجب على المرء أن يتجدد ويتجدد ثانية، ولا توجد إلا وسيلة واحدة حتى يولد المرء في حياة جديدة، وهي أن يموت قبل الموت) [238]

---

[236] سورة البقرة الآية 54.

[237] ورد في الأثر:(موتوا قبل أن تموتوا).

يشير شمس إلى التغيير الجذري وليس الجزئي، يشير إلى قتل النفس المذكور في قوله تعالى: (فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ).

يقول جلال الرومي: (فالمؤمن الحق لا يطيق صبراً أن يعيش سنوات حياته بعيداً عن ربه حتى إذا أتاه الموت التقى بحبيبه، بل على المؤمن أن يغيب عن " نحن " و" أنا " وينسي هويته ويتلاشى ويُستهلك في نور الحق حتى يقرب اللقاء ويموت قبل أن يموت).

وقتل النفس يكون بتزكيتها عن طريق (التوبة والعمل الصالح وتصحيح القصد وإنكار الذات'الأنا'...إلخ). ولن يفلح العبد في ذلك دون اتخاذه سبيل حُب الله منهجاً يفضي به إلى الفناء. ولن يصل للحُب والفناء حتى يرى الله فاعلاً به ما يشاء وقتما شاء، فيحيا مع ربه بما يريد الرب منه وبه، وليس العكس.

إن الغرام هو الحياة فمت به صبًّا فحقك أن تموت وتعذرا. [238]

يقول جلال الرومي: (**العشق هو ذاك اللهب الذي عندما يتأجج يحرق كل شيء ولا يبق ثمة إلاّ الله**)

****

[238] سلطان العاشقين، ابن الفارض.

القاعدة التاسعة والثلاثون

(الأجزاء تتغير والكل يبق ذاته)

((مع أن الأجزاء تتغير، فإن الكل يظل ذاته، لأنه عندما يغادر لص هذا العالم، يولد لص جديد، وعندما يموت شخص شريف يحل مكانه شخص شريف آخر. وبهذه الطريقة لا يبقى شيء من دون تغيير، بل لا يتغير شيء أبداً أيضاً)).

التأصيل

(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ)[239] شمس .

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة إلى أن الخلق دائم فالله سبحانه وتعالى هو الخلاَّق (دائم الخلق والإيجاد)، فما زال المطر يهطل كعادته منذ أن خلق الله الأرض، وسيظل إلى قيام الساعة، لا شيء تغير.

ومع ذلك فإن ذلك المطر لم يعد ينزل على من كان ينزل عليهم منذ مائة سنة فقد رحلوا جميعاً، وسكن ديارهم قوم آخرون ينزل عليهم،

[239] **سورة الأنبياء الآية 104.**

ولعل أقرب مثال هو شمس نفسه، فقد أرادوا قتله أو الخلاص منه، فلما تخلصوا منه حل مكانه في منهج العشق جلال الرومي، يقول شمس: (ومع موت كل شمس تبريزي يظهر شمس جديد في عصر مختلف باسم مختلف. إن الأسماء تتغير تأتي وتذهب لكن الجوهر يبقي ذاته). وكأن شمساً يردد قوله تعالى:(بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ)[240]، فكل شيء يتغير، وكل شيء يبقى كما كان قبل أن يتغير.

إذاً: (فالعشاق يأتون ويرحلون، ويبقى العشق مع المحبوب سبحانه لا يتغير).

لقد رحل الحبيب الأعظمﷺ الذي خَيَّره الله بين أن يؤتيه من الدنيا زهرتها وما شاء منها وبين ما عنده. فأختار الحبيب ما عند حبيبه وكان آخر ما قاله ﷺ: (بل الرفيق الأعلى من الجنة)[241].

لقد رحل الحبيبﷺ بجسده عن هذه الدنيا وبقي الحب الذي زرعه في أُمته إلى اليوم، وهو خير ميراث يورث، وسيبقى إلى يوم القيامة إن شاء الله، ومن ظهر في الأمّة بغير الرحمة والحب فهو غير وريث.

---

[240] سورة ق الآية: 15.

[241] أنظر هذه الروايات في صحيح البخاري ومسلم وصحيح ابن حبان ومسند أحمد.

وكما أن الحب باقٍ فالبغض باقٍ بقاء الخير والشر، وكما يرث الصالحون الصلاح والإصلاح والمحبة والرحمة والخير، يرث الفاسدون الفساد والإفساد والبغضاء والقسوة والشر، هكذا هو الأمر دائم.

وكأن شمساً يريد أن يقول لا يمكن جعل العالم كله محباً لله، بل لا يمكن أن تجعله كله مؤمناً بالله يقول تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا)[242].

ونصيحة هذه القاعدة لطالبي طريق الحق والعشق هي قول الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ)[243]، فعلى المحبين التركيز في طريقهم، وألاّ ينشغلوا بتغيير العالم من حولهم، فعليهم أن يتغيروا هم ليستطيعوا أخذ ميراث المحبة والعشق، وحمل تلك الأمانة الكبيرة، ونشرها بين العالم، فتلك رسالتهم.

يقول جلال الرومي: (اعشق إن كنت تريد معرفة العشق).

القاعدة الأربعون

[242] **سورة يونس الآية: 99.**
[243] **سورة المائدة الآية: 105.**

(لا قيمة للحياة من دون عشق)

((لا قيمة للحياة من دون عشق. لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده روحي أم مادي،إلهي أم دنيوي، غربي أم شرقي، فالانقسامات لا تؤدي إلا إلى مزيد من الانقسامات، ليس للعشق تسميات، ولا علامات، ولا تعاريف، إنه كما هو نقي وبسيط، العشق ماء الحياة، والعشق هو روح من النار! يصبح الكون مختلفاً عندما تعشق النار الماء)).

التأصيل

قال تعالى:(فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)[244].

وقال تعالى:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ)[245].

الشرح

يشير شمس في هذه القاعدة الأخيرة من قواعد العشق الأربعين إلى كل ما أراده من تلك القواعد في جملة واحدة هي: (لا قيمة للحياة من دون عشق).

---

[244] سورة المائدة الآية: 54.

[245] سورة البقرة الآية: 165.

يقول شمس:(إن ديننا هو دين العشق، وجميع البشر مرتبطون بسلسلة من القلوب، فإذا انفصلت حلقة منها، حلت محلها حلقة أُخرى في مكان آخر).

وأما قول شمس: (**لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده روحي أم مادي،إلهي أم دنيوي**).

فهذا لكون العاشق في حقيقته مأخوذ عن نفسه إلى نفس مَنْ يعشق، لا يعرف نفسه بينما يعرف معشوقه جيداً، فمن درى بنفسه فهو في أوائل المحبة، ولم يبلغ العشق بعد. ففي أوائل المحبة تتعدد الأغراض والرغبات، أما في العشق فليس للعاشق سوى غرض واحد وغاية واحدة هي المحبوب لا غير، ولذا يقول شمس: (في العشق تختلط الحدود). ولذا يقع الشطح، حينما يفنى الفاني في أنوار الباقي.

وإليك مثالٌ عن الغرق في تلك الأنوار القاهرة:

لكل عاشق في الحقيقة سعة لعشقه،فمن العشاق من سعته كوب، ومنهم من سعته ألف كوب، ومنهم من أكثر بكثير من ذلك،ولكن في النهاية لكل منهم سعة محدودة مهما بلغت،أما محبة الله فلا حدود لها

الآن فلنرمِ تلك الأكواب التي بالملايين في بحر الحب الإلهي العظيم،

ماذا حدث؟

تلاشت كل الأكواب حيث غرقت في قاع البحر المحيط (غابت بلا أثر)

الآن.. لقد تغير مسمى الأكواب الغارقة فلم تعد أكواباً. لقد صار يُطلق عليها مُسمى(بحر)لقد صارت الأكواب تظن أنها صارت بالفعل(بحر).

هكذا هو حال العشاق حين يغرقون في بحر العشق الإلهي.

ثم يقول شمس معبراً عن العشق: (العشق ماء الحياة).

لقد استمد كلمته من قوله تعالى(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ). فوصف الماء الذي يعتبره الناس مكون من:(هيدروجين وأُكسجين)، فوصفه بأنه مكون من:(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)، أي: أن حقيقة الماء العشق.

هل شطح شمس عندما خالف كل المفاهيم العلمية للماء، أم أنه قصد الجانب الآخر من الحقيقة؟.

لقد تأمل شمس القرآن فوجد أن الغاية من الخلق هو الحب وذلك في قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)، فكل إيجاد بعد المحبة فإنما كان من أجلها وهي علّة وجوده، وسبب حياته.

ثم يقول شمس: **(والعشق هو روح من النار !، يصبح الكون مختلفاً عندما تعشق النار الماء)**.

لقد أطلق شمس سابقاً على العشق أنه (ماء الحياة)، وهنا يسميه(روح من النار) فهل ذلك تناقض؟

الحقيقة هي أنه رمز لحب الله (بماء الحياة) ورمز لحب العبد (بروح من النار)، وذلك لما يختلج في قلب العاشق من أشواق لله تبارك وتعالى، فهي علاقة تبادلية بين الرب والعبد، إلاّ أن الرب ثابت لا تأخذه المشاعر التي تأخذ عباده، هذا برغم أن حب الله المطلق لا يقارن، بل لا يقاس بحب العبد المقيد مهما بلغ حب العبد لمولاه.

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ وَالْحَسَنِ قَالا:(**لا عِشْنَا إِلَى زَمَانٍ لا يُعْشَقُ فِيهِ**)[246].

يقول جلال الرومي: **(سأقول لك كيف خلق الله الإنسان من طين. ذلك أن الله جل جلاله نفخ في الطين أنفاس الحب)**.

وحق شمس أن نختم بما ختم به قواعده **(لا قيمة للحياة من دون عشق)**.

****

[246] تاريخ بغداد.

(1) الوداع لا يقع إلا لمن يعشق بعينيه، أما ذاك الذي يحب بروحه وقلبه فلا ثمة انفصال أبداً.

(2) كل الأشياء تصبح أوضح حين تُفسر، غير أن هذا العشق يكون أوضح حين لا تكون له أية تفسيرات.

(3) العشق في الأصل هدف غائي، وجنون بالحضرة الإلهية.

(4) العشق إكسيرٌ ودواء للأمراض الأخلاقية والنفسية التي تصيب البشر.

(5) العاشق لا يعرف اليأس أبداً.

(6) اعشق إن كنت تريد معرفة العشق.

(7) كل شيء غير العشق حرام عليه (أي: على العاشق).

(8) العشق يحرق كل الآفات الذميمة من الوجود كله .

(9) عندما يُضاء القلب بالعشق لا تكون الحاجة إلى الاستدلال أمراً لائقاً .

(10) مذهب العشاق وملتهم هو الله .

(11) أيها العشق أنت قلبت نومي رأساً على عقب، حتى إن نومي بسببك غرق في دم الكبد .

(12) وفي بحر العشق ذبت كالملح، لم يبق كفر ولا إيمان.

(13) يشع في قلبي كوكب تختبئ فيه السبع سماوات!.

(14) العشق لا مذهب له لتؤمن به أو لا تؤمن.

(15) لا يهدأ قلب العاشق قط ما لم يبادله المحبوب الحب .

(16) العشق هو الأساس والمبعثُ للتضرع .

(17) الق نفسك في نهر العشق، حتى وإن كان نهراً من الدماء.

(18) قد ينتهي طريق عند بيت واحد، لكن ليس طريق العشق.

(19) العشق نهر. اشرب منه.

(20) إن العشاق يطلبون الموت والفناء كما يطلب الشاعر القافية، والمريض الشفاء، والمحبوس الخلاص، والأطفال يوم الجمعة.

(21) كل عُشاق مدرسة العرفان يرون المعشوق في كل شيء ينظرون إليه، لأنهم ينظرون بنور العشق.

(22) هكذا أود أن أموت في العشق الذي أكنه لك، كقطع سحب تذوب في ضوء الشمس.

(23) العشق صامت تماماً. وأنه لا يوجد كلمات يمكنها وصفه.

(24) مَنْ لا يركض إلى فتنة العشق يمشي طريقاً لا شيء فيه حي.

(25) هو ذاك اللهب الذي عندما يتأجج يحرق كل شيء ولا يبقى ثمة إلاّ الله.

(26) العشق يزهر من تلقاء نفسه بإرادة مستقلة .

(27) العشق لا يمكن أن يكتسب أو يلقن .

(28) إن العشق يتفتح ويزدهر فقط في أفئدة أرباب الشرف والفتوَّة والإباء، والعشق في ذاته يُهدي الطهارة والعفة والنقاء وبه يعرج صاحبه إلى ما وراء الكائنات.

(29) المُطلق أراد أن يُعشق فخلق الإنسان.

(30) أينما كان النور فأنا الشغوف به..وأينما كانت الزهرة فأنا الفراشة وأينما كان الجمال فأنا العشاق. وأينما كانت الحكمة فهي ضالتي.

(31) العشاق حين يفنون في طريق العرفان يلاقون سلطان الأرواح، العشاق يموتون، وعيون أرواحهم مفتوحة تلتمس رؤية المعشوق الإلهي.

(32) وفي تلك اللحظة التي يدرك فيها العقل العواقب، يرتفع من العشق نداء: ليكن ما يكون ليكن ما يكون.

(33) العشق نبع.. فانغمر .

(34) العشق هو تلك الرحلة التي تأخذك من نفسك إلى نفسك.

(35) كل الأشياء تصبح أوضح حين تفسر .غير أن هذا العشق يكون أوضح حين لا تكون له أي تفسيرات .

(36) عظمة العشاق.. من عظمة ما يعشقون، المرء مع من لا يفهمه مثل السجين، لا تسر مع التيار.. كن أنت التيار .

(37) لا يحتاج العشق لأي مسميات أو تصنيفات أو حتى تعريفات، فالعشق

عالم قائم بذاته وأنت إما أن تكون في قلب هذا العالم، أو تكون بخارجه تتوهمه.

(38) العاشق لا يعرف اليأس أبدا .

(39) للقلب العاشق كل الأشياء ممكنة، انظر بقلبك..

(40) قلت للعشق ذات ليلة : اصدقني القول من أنت؟.
فقال لي: أنا الحياة الباقية، وأنا العمر المتكرر.

****

الختام[247]

ليس للعشق قواعد.. فالعشق هو الخروج عن القواعد. وأما هذه القواعد وغيرها. فإنما هي إرشادات للمحبين والباحثين عن العشق، كي يستمدوا منها ما يعينهم على تلك الرحلة التي يستنفذ المحب فيها كل شيء حتى نفسه ووجوده ، ففي العشق يفنى الفاني ويبقى الباقي. يغيب الثاني ويبقى الواحد.

يقول شمس التبريزي: **العشق يتجلى في ذات المعشوق في صورة الاستغناء وعند العاشق في شكل التواضع والتذلل والألم.**

وذلك هو منتهى الحب تلك الرحلة الذي لا منتهى له...

فما الحب إلاّ مراحل تُعبر؛ ليصل المحب إلى الغاية، وهي العشق.

ولا شك أن هناك فرقاً بين المحب والعاشق. فالمحب يبحر بنفسه في بحرالمحبة ملتمساً النجاة وعينه على الساحل، ويصبر على السنين، يجاهد نفسه بكل أنواع المجاهدات فهو الصابر الشاكر الراضي ...إلخ، ويتقرب إلى محبوبه بكل أصناف القربات، آملاً في نيل مراده ومبتغاه من مولاه ولو بعد حين، ولذا فالمحب محبوب العالم.

أما العاشق: فهو الغريق الذي أسلم الروح من شدة شوقه لمحبوبه عز وجل، قدم نفسه قرباناً وانتهى، فلم يعد له نفسٌ يجاهدها، تقرب إلى مولاه بمولاه، فلم يعد يرى إلاَّ الله، ولذا فالعاشق لا يحتمل أحد.

والخلاصة؛(الحب بوابة العشق، والفرق بين المحب والعاشق : نفسٌ قائمة أو معدمة)

---

[247] . ترجمة كتاب قواعد العشق من الإنجليزية هي : قواعد الحب، وليس العشق!!.

إله الكون أهواك

إلــه الكون أهواك وليس بقلبي إلاَّك
بُليت بعمر يحجبني بُليت ولست أنساك
أعيش العمر محزوناً وحزن البعد هلاَّك
وحزني فيك لي ونسٌ فحتى الحزن يهواك
فمهما أعيش من عمر سأصبر حتى ألقاك
كفاني منك تتركني بهذا الكون أهواك
وإني الآن في حجبي وجدت سبيل رؤياك
فانت الفقد والوجد ولست بهذا أو ذاك
فانت الأحد والصمد وأنَّى لوصفي ببهاك
إله الكون أحمدك وليس الحمد لسواك
فصلى ربي على طه وقوماً فازوا برضاك
واجعل كلامي ختامه حبيب الكل يهواك. سه [248]

****

[248] الشعر للمؤلف .

قيل إن السري [249] : رأى الحق سبحانه وتعالى في المنام وأوقفه بين يديه وقال له: **(يا سري خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتي، فخلقت الدنيا فاشتغل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف منهم بالدنيا وبقي ألف، فخلقت الجنة فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعة مائة وبقي مائة،**

فسلطت عليهم شيئاً من البلاء فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء وبقي عشرة، فقلت لهم: أنتم لا للدنيا أردتم، ولا في الآخرة رغبتم، ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟

قالوا: إنك لتعلم ما نريد.

فقلت: إني أنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسي أفتثبتون لذلك؟

قالوا ألست الفاعل بنا؟! قد رضينا، بك نحمل وفيك نحمل ولك نحمل ما لا تطيقه الجبال. **فقلت لهم: أنتم عبيدي حقاً)** [250].

---

249 هو أبو الحسن السري بن المغلس السَّقطي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وأول من تكلم في علم الأحوال، وكان إمام البغداديين(ت 251 هـ).

250 انظر كتاب المبشرات الإلهية للمؤلف؛ نقلاً عن كتاب نشر المحاسن صـ181.

ملحقات الكتاب

صورة لمقام :مولانا جلال الدين الرومي (من الداخل)

صورة لمسجد ومقام :مولانا جلال الدين الرومي (من الخارج)

صورة : لأداء السماع عند الطريقة المولاوية

الثياب البيض التي يرتديها المولوية ترمز إلى الكفن؛ والمعاطف السود ترمز إلى القبر؛ وقلنسوة اللباد ترمز إلى شاهدة القبر؛ والبساط الأحمر يرمز إلى لون الشمس الغاربة؛ والدورات الثلاث حول الساحة ترمز إلى الأشواط الثلاثة في التقرب إلى الله، وهي: طريق العلم والطريق إلى الرؤية والطريق إلى الوصال؛ وسقوط المعاطف السود يعني: الخلاص والتطهر من الدنيا؛ وتذكّر الطبول بالنفخ في الصُّور يوم القيامة؛ ودائرة الراقصين تُقسَم على نصفَي دائرة، يمثل أحدهما قوس النزول أو انغماس الروح في المادة، ويمثل الآخر قوس الصعود أي صعود الروح إلى بارئها؛ ويمثل دوران الشيخ حول مركز الدائرة الشمس وشعاعها؛ أما حركة الدراويش حول الساحة فتمثل القانون الكوني ودوران الكواكب حول الشمس وحول مركزها.

والفكرة أساسها: تحويل الإنسان إلى فلك يدور حول مركز هو (الله)

صورة: لمولانا جلال الدين الرومي

صورة : لمولانا شمس الدين التبريزي

صورة الشباك الغربي لمقام حضرة النبيﷺ

صورة المؤلف حبيب الكل وأولاده (أحمد الله ومحمد وحبيب الله)

مراجع

القرآن الكريم.

كتب الأحاديث النبوية.

(1) كتاب المثنوي لجلال الرومي .... ترجمة وتقديم (د.إبراهيم الدسوقي شتا).

(2) فيه ما فيه ..... (جلال الدين الرومي) .

(3) مناقب العارفين .....(شمس الدين أفلاكي).

(4) مقالات شمس التبريزي ..... (د. محمد علي موحِّد).

(5) بصائر من وحي كلمات مولانا. حدائق الروح (ج1 و ج 2)..(ماهر سقا أميني).

(6) مولانا جلال الدين الرومي.....(أ.د. جيهان أوقويوجو).

(7) قواعد العشق الأربعون .....(إليف شافاق).

(8) جلال الدين الرومي صائغ النفوس.....(إحسان الملائكة).

(9) بحثاً عن الشمس من قونية إلى دمشق .....(عطاء الله تدين).

****

مراجع ذات صلة بالحب والعشق

(1) الحكم العطائية .....(تاج الدين أحمد ابن عطاء الله السكندري).

(2) من معارف السادة الصوفية..... (أ. محمد خالد ثابت).

(3) العشق في آراء الفلاسفة والحكماء .....(سيد صديق عبد الفتاح).

(4) مجموعة مصنفات شيخ إشراق.. السهروردي ....(هنري كربين).

(5) ابن الفارض والحب الإلهي .....(د. محمد مصطفي حلمي).

(6) أخبار الحلاج .....(لويس ماسينيون).

(7) الكتاب الإلهي .....(فريد الدين العطار).

(8) منطق الطير .....(فريد الدين العطار).

(9) جنة الورد ..... (السعدي الشيرازي).

(10) روضة التعريف بالحب الشريف .....(ابن الخطيب السلماني).

(11) الحب فريضة إسلامية .....(د. محمد ربيع ثابت).

(12) الحب الإلهي .....(أ.د. صبري الشرقاوي).

(13) نفحات الأنس .....(الجامي).

الفهرس

الإهداء 3

المقدمة 5

سيرة مولانا جلال الدين الرومي وحاله مع شيخه شمس التبريزي 9

التعريف بشمس التبريزي 22

بداية لقاء شمس التبريزي وجلال الرومي..... 32

غياب شمس (الرحيل الأول له) 48

عودة شمس إلى قونية 53

مقتل شمس التبريزي 58

ما بعد غياب شمس، وحياة جلال الرومي حتى وفاته..... 62

مدخل: ما هو العشق؟ 75

أربعون قولاً من أقوال جلال الرومي في المحبة 81

العشق في الأحاديث النبوية 86

سر العشق 89

بيان نبوي شريف 91

هل يجوز وصف العشق على الله جل جلاله 98

بداية تلقين قواعد العشق 104

شرح قواعد العشق الأربعون..... 107

أربعون قولاً من أقوال جلال الرومي في العشق 253

الختام 258

قصيدة إله الكون أهواك (للمؤلف) 259

ملحقات الكتاب المصورة 263

المراجع 267

الفهرس 269

مؤلفات حبيب الكل

(1) الذين رأوا رسول الله في المنام وكلموه - (طبعتان).

(2) الذين رأوا الله عز وجل في المنام وكلموه - (ثلاث طبعات).

(3) الجهر بالبسملة في ميزان الكتاب والسنّة .

(4) لسان العرفان وبيان الترجمان .

(5) الأمّة الإسلامية هي الفرقة الناجية.

(6) الانتصار لرؤية النبي يقظة بالأبصار.

(7) الخلافة قادمة ولكن لا خليفة غير المهدي ولا خلافة قبل ظهوره.

(8) داعش .. خوارج علي نهج التتار وسنّة العجم -(طبعتان).

(9) ورد الورود علي الحبيب والودود - (ثلاث طبعات).

(10) صحة صلاة المليار في رحاب قبور الأبرار.

(11) سدرة المنتهى معراج السالكين إلي رب العالمين (رسالة في السلوك إلى الله).

(12) الإيمان والإلحاد.

(13) أيها السالك إلى الله عز وجل.

(14) بهجة القلوب.

(15) العظمة المحمدية -(الجزء الأول).

(16) العظمة المحمدية -(الجزء الثاني).

(17) رؤيا الله عز وجل في المنام.

(18) أطروحات وفتوحات -(الجزء الأول).

(19) عظمة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(20) عظمة الإمام علي رضي الله عنه.

(21) الجامع البهي لحكم الإمام علي -(أكثر من 8000 حكمة) -(جزءان).

(22) المبشرات الإلهية.

(23) الإنباء عن عصمة الأنبياء .

(24) أيها المريد الصادق.

(25) الاعتقاد في مدارج الإسلام الثلاث.

(26) حقيقة المجاذيب.

(27) ديوان المبشرات القدسية.

(28) أطروحات وفتوحات – (ج 2).

(29) أطروحات وفتوحات – (ج 3).

(30) الأربعين في تحذير السالكين (ومعه الأربعين في أجوبة السائلين)

(31) دليل السائرين إلى ربِّ العالمين .

(32) يا بنيّ

(33) السفر المعين على خدمة الصالحين.

(34) حصن المؤمن.

(35) شرح قواعد العشق الأربعون .

(36) بيان الالتباس فى حديث (امرت أن أقاتل الناس)

(37) قوانين السلوك.

كتب المؤلف حائزة على موافقة مجمع البحوث الإسلامية (الأزهر الشريف)

((((مؤلفات تحت الطبع))))

(1) كتاب أسئلة الملحدين وأجوبتها .

(2) كتاب حقيقة الشكر .

((للتواصل مع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام)) :

الشيخ : أيمن عمران ؛01000147132 - الشيخ السيد شحات: 01151994222

الشيخ حسين العبّادي: 01147641423 - الشيخ مصطفى عفيفي: 01144888744

الشيخ محمد حلفاوي: 01203765377

((للتواصل مع مؤسسة حبيب الكل يسعدنا اتصالكم علي هذه الأرقام))

رئيس مجلس الإدارة اللواء :عادل سليم 01006045481

الأستاذ أحمد عادل علام 010209155 50

الشيخ السيد شحات الحنفي 01006843105

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

((للتواصل مع موقع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل

يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام))

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

الموقع الرسمي لصحبة الحُب الإلهي أحباب حبيب الكل

((http://www.sohbtelhobelelahy.com/))